صحيفة شهرية تعنى بالتاريخ السوري والعربي وتستعيد ذاكرة الصحافة العابرة للأجيال

* 32 صفحة *

العربي القديم

شعارها
عدو جدك ما يودك

* العدد الثالث - أيلول/ سبتمبر 2023 *

* Issue 3 September 2023 *

أم كلثوم تصرخ في قادة الانفصال:
باسم مين يا خارجين عَ الشعب.. باسم مين؟

القضية:
صورة عبد الناصر
في صحافة الانفصال

الملف:
الثقافة الســـورية
في عهد الانفصال

عدد خاص

28 أيلول 1961:

62 عاماً على الانفصال

سجل الاتهامات والمعارك والإنجازات

لعبة الأيام

كرنفال سياسي وغراب أسود

خضر الآغا

نشرت صحيفة "الأهرام" المصرية نتيجة الاستفتاء على الوحدة بين سوريا ومصر عام 1958 بين الشعبين النتيجة التالية: 99.99% من المصريين، و99.98% من السوريين يصوتون لصالح الوحدة.

لابد أن الرقم أثار استغراب السوريين آنذاك! إذ كيف لشعب كامل، باستثناء عدد محدود منه، أن يتفق ذلك الاتفاق العجيب على أمر مهما كانت أهميته؟ وهو شعب ذاخر بأفكار ومعارف وسياسات وإيديولوجيات وانتماءات وانحيازات وآراء متحاورة، متناقضة، متجادلة، متخاصمة، محبة، كارهة...؟

لابد أن الرقم كان جديداً على شعب كان يوصل مرشحه إلى البرلمان بشق النفس وبعمل دؤوب على مدار الساعة ولا يحصل، رغم ذلك، إلا أغلبية بسيطة تمكنه من الوقوف تحت القبة!

أحزاب وتيارات سياسية كثيرة، متنافسة، متفقة، مختلفة... تنتشر على الجغرافيا السورية انتشار الأشجار في الغابة، وتلون البيوت بألوان الكرنفال، فأب قومي وابن شيوعي وأخ إسلامي وأخت ليبرالية... وهكذا.

صحف ومجلات تظهر يومياً وتتكاثر حتى أنه كان من الصعب، في فترة ما، إحصاؤها، بطبعات متعددة، بعضها بطبعتين: طبعة مسائية وأخرى صباحية في محاولة للحاق بـ/ وتغطية الأحداث السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية. صحف لسوريا كلها، وصحف خاصة بأحزاب معينة، وأخرى خاصة بمدينة معينة... وهكذا.

شخصيات كثيرة ذوات عمل وتطلعات وخطط وكاريزما قادرة على إحداث فرق في السياسة وفي الاجتماع وفي الثقافة... وهكذا.

كل ذلك أنهاه جمال عبد الناصر بين ليلة وضحاها. لا أحزاب إلا حزبه، لا صحافة إلا صحافته، لا شخصيات إلا هو!

كل ذلك، كل ذلك المد الديموقراطي، كل ذلك الاتساع في الحرية، كل ذلك البلد الصاعد والناشئ في بناء نفسه ومستقبله، أوقفه جمال عبد الناصر بتلك النسبة 99.98% التي وافقت على الوحدة، وبالنسبة ذاتها التي (انتخبته) رئيساً لجمهورية الوحدة.

تحمل السوريون ذلك لمدة ثلاث سنوات، ثلاث سنوات فقط -مع أنها مدة بدت، بمقاييس ذلك الزمن السوري، طويلة جدا- وصححوا ذلك الخطأ التاريخي وأعلنوا استعادة سوريا من قبضة الدكتاتور. إذ إنهم عرفوا، بعد سجون وملاحقات وتعذيب وتذويب بالأسيد، وبعد سيادة الرأي الواحد والصوت الواحد، أن تلك الوحدة ليست سوى الاسم الإيديولوجي للهيمنة والتحكم والضبط.

***

في الخمسينيات تحمل السوريون الدكتاتور ثلاث سنوات فقط، وفي السبعينيات تحملوه أربعين عاماً!

لابد أنه مجال خصب لدراسة مقارنة دقيقة ومضنية ومعقدة، لكنها ضرورية.

أخبار حركة الانفصال الأولى في الصحف المصرية:

تمرّد خائن.. وعبد الناصر لن يتخلى عن الشعب

استفاق المصريون صبيحة يوم الجمعة في التاسع والعشرين من أيلول/ سبتمبر عام 1961 الموافق لـ 19 ربيع الثاني 1381 هجرية، على أخبار انقلاب الثامن والعشرين من أيلول في دمشق، تملأ العناوين الأولى في صدر صحفهم اليومية، وقد وصفت صحيفة (الأهرام) الانقلاب الذي قاده العقيد عبد الكريم النحلاوي بالتمرد الخائن، وتوعدت الانقلابيين، فيما عنونت (الجمهورية): عبد الناصر يصدر قرارا بعزل الضباط المتمردين في دمشق، ويعلن: لن أقبل المساومة ولن أتخلى عن الشعب، وقالت (الأخبار) إنّ القرارات الاشتراكية في سوريا ألغيت وتمت إعادة سيطرة من أسمتهم بـ" الرأسماليين" على الشركات!

الأهرام

تمرد خائن ضد الجمهورية العربية

وحدة من معسكر قطنه تقوم بتمرد عسكري في دمشق وتحتل الإذاعة والقيادة العامة

عبد الناصر وضع الأمة بكل تفاصيلها أمام الشعب في خطابين خطيرين أمس

عبد الحكيم عامر وصل إلى القاهرة في الساعة الثامنة مساء

عبد الناصر يشرح للشعب في خطابين تفصيلات الموقف كلها

إلغاء القرارات الاشتراكية في سوريا

الجمهورية

عبد الناصر يصدر قرارا بعزل الضباط المتمردين في دمشق

عبد الناصر يصارح الشعب بحقيقة التمرد في دمشق ويعلن:

لن أقبل المساومة ولن أتخلى عن الشعب

ظاهرات الشعب في كل أنحاء سوريا تهتف بالوحدة

ضباط التمرد يزيفون برقيات التأييد

صورة الغلاف

بتاريخ السابع من آذار مارس عام 1958 تم تبديل لوحة التعريف الخاصة بسورية في الأمم المتحدة إلى: الجمهورية العربية المتحدة، وغاب اسم سورية الدولة المؤسسة في الأمم المتحدة لأول مرة، ليعود إليها بعد الانفصال، حيث استعادت سورية مقعدها خلال جلسة الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم (1036) المنعقدة بتاريخ 13 تشرين الأول/ أكتوبر 1961 واعترفت بالقرار 90 دولة على الفور.

وكانت صحيفة (الحياة) اللبنانية قد ذكرت في 10/6 أي قبل أسبوع من انعقاد جلسة الجمعية العامة أن الرئيس جمال عبد الناصر قد أعطى أوامره إلى وفد الجمهورية العربية الدائم في الأمم المتحدة ألا يعترض على طلب انتساب سوريا إلى الأمم المتحدة، كما أصدر أوامره إلى وزير الخارجية بألا يعترض على قبول سوريا عضوا في الجامعة العربية، لكنه قال: "أما الجمهورية العربية المتحدة فلن تعترف بالوضع في سوريا، إلا متى جرت انتخابات تجعل الشعب نفسه يقرر شؤونه.

"العربي القديم"

العقيد عبد الكريم النحلاوي قائد الانقلاب

أذيعت كلها في اليوم الأول للانقلاب:

البيانات الاثنا عشر الأولى

في صبيحة يوم الثامن والعشرين من أيلول سنة 1961، أفاق الناس على صوت مذيع إذاعة دمشق، وهو يقول: "هنا دمشق" وكان هذا دليلا لدى بعضهم أن شيئا ما قد حدث، لاسيما بعد أن لفت المذيع انتباه الناس إلى انتظار بيانات هامة. وبعد تلاوة القرآن، أذيع البلاغ التالي:

البلاغ رقم (١)

قام جيشكم الذي كان وسيبقى أبدا دعامة وطنية راسخة، قام للحفاظ على أرض الوطن وسلامته وحريته وكرامته، قام لإزالة الفساد والطغيان ورد الحقوق الشرعية للشعب.

وإننا نعلن أن هذه الانتفاضة الوطنية لا صلة لها بشخص أو بفئة معينة، وإنما هي حركة هدفها تصحيح الأوضاع غير الشرعية. فيا أيها الشعب العربي ثق بجيشك، فإننا أقوياء بعون الله وقوته. إننا قد طرقنا كل باب للإصلاح قبل أن ننفجر، فلم نجد إلا في القوة سبيلا للتحرر من كل المستغلين واتباع طريق الحرية. ولم نجد إلا القوة سبيلا لكي تعاد للشعب حريته وللجيش كرامته. ولن نرضى بعد اليوم لراية العروبة مقراً إلا هامات النصر، وهذه دماؤنا نكتب بها أننا وفينا للعهد وأبينا العيش إلا كراماً، والله أكبر العزة للعرب.

التوقيع: القيادة الثورية العربية العليا.

البلاغ رقم (٢)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن القيادة العربية العليا للقوات المسلحة تعلن على الشعب العربي المكافح في سورية ومصر خاصة، وفي البلاد العربية والعالم عامة ما يلي:

إن الشعب العربي المكافح في سورية ومصر يدعمه الجيش العربي فيهما، قد قام متكلا على الله العزيز القهار، بحركة عربية ثورية منظمة لمحق الانحراف والمنحرفين، أولئك الذين ضربوا الوحدة العربية المقدسة في الصميم، تلك الوحدة التي ضحى الآباء والأجداد في كل قطر عربي بدمائهم وأرواحهم في سبيلها، حتى سطعت أنوارها الأولى من قلب العروبة الناهض، سورية الثائرة على الطغيان، سورية المؤمنة الجبارة التي قضت على المستعمرين والمتآمرين عبر التاريخ تزأر اليوم وتثب.ومزيد من عون الله العلي القدير لتقضي على أشباه الطغاة والمستغلين، أولئك المستغلين المنحرفين الذين سلمهم الشعب العربي في سورية كل مقدراته، مندفعا وراء الوحدة العربية المقدسة التي عاش من أجلها، ولكن الطغمة المتحكمة خانت الأمانة وضربت بالوحدة عرض الحائط، بل ونفرت الشعب في الأقطار العربية من كل ما يتصل بالوحدة، وأصبح كل همها أن تثبت في كراسي الحكم السحرية، وباتت العهرد والدساتير والمواثيق حبرا على ورق.

وراحت هذه الطغمة الفاسدة تفتش عن الأساليب التي تكفل تحقية الشعب وإفقاره، كما راحت تصدر بين الحين والحين قرارات سمتها ثورية، والثورة منها براء. قرارات في ظاهرها الرحمة وفي باطنها العذاب. كل ذلك ليخدعوا الكادحين من أبناء هذه الأمة، وخاصة العمال والفلاحين عصب الأمة. ناهيك عن الخطة السافلة التي اتبعت في تصفية الجيش، سياج الأمة، من أبنائه وأبطاله الميامين، وهم في ريعان شبابهم. كما راحت هذه الطغمة تنشر الدعايات المضللة المغرضة بغية صرف الأنظار عن جرائمهم وما يشيعون من فساد، كما راحت هذه الطغمة تبدد الأموال العامة باسم رواتب ورشوات لتشكك الأخ بأخيه، والأب بابنه، ليسود الذعر والخنوع.

وقد أعمت رجال هذه الطغمة حمى الحكم فنسوا أن الشعب الثائر، قادر على سحقهم وإسكات أصواتهم وأنفاسهم. والشعب العربي الأبي يمد يده الشريفة ليتسلم حقه المقدس، وليعمل بكل إخلاص لدعم الوحدة العربية من الخليج حتى المحيط على أساس متين من التكافؤ والمساواة والحرية والإخاء، وليصون المواثيق والقوانين والأنظمة الدولية، ولتتبع كل ما من شأنه تحسين العلاقات مع الدول العربية الشقيقة خاصة، والدول الأجنبية عامة، والله هو نعم المولى ونعم النصير.

البلاغ رقم (٣)

إن القيادة العربية الثورية للقوات المسلحة تعلن للشعب العربي في سورية، أنها سيطرت تماما على الموقف، وهي واثقة كل الثقة من أن الشعب الواعي سيحافظ محافظة تامة على إخوانه المصريين، وأنه يعاملهم أحسن ما يعامل به الأخ أخاه من كرم وعناية ووفاء، كما تنبه الشعب الكريم إلى أن القيادة العربية الثورية العليا للقوات المسلحة، ستضرب بيد من حديد على أيدي المخربين والدساسين فحافظوا على أخوانكم المصريين وحافظوا على الأجانب، حافظوا على الدوائر الرسمية والمؤسسات الحكومية والأجنبية، وإننا واثقون من سلامة وعيكم وحسن تصرفكم، وإلى النصر الأكيد والله معكم.

البلاغ رقم (٤)

تقفل كافة المطارات والموانئ السورية اعتبارا من صدور هذا البلاغ وحتى إشعار آخر. تكلف وحدات الحراسة بتنفيذ هذا الأمر.

البلاغ رقم (٥)

الحمد لله، الحمدلله، وشكرا له. لقد نجحت الحركة الثورية في جميع أنحاء سورية، والحالة هادئة تماما في كافة المدن والمحافظات السورية. لقد نجحت الحركة الثورية دون وقوع أية حادثة بفضل تضامن الشعب.

البلاغ رقم (٦)

إن القيادة الثورية العربية العليا للقوات المسلحة إذ تشكر المواطنين جميعا على إظهار مشاعرهم بتأييد حركتها، تطلب منهم جميعا الهدوء، والكف عن مظاهر التأييد الجماعية لئلا تفسح المجال أمام المستغلين أو الانتهازيين ممن يحاولون إساءة إلى قدسية الحركة. والقيادة سوف لن تتهاون بالضرب بيد من حديد على كل من يحاول الاستغلال أو الإساءة إلى حرية الشعب.

البلاغ رقم (٧)

إن القيادة العربية الثورية العليا للقوات المسلحة، تناشد الشعب الكريم الخلود إلى السكينة والهدوء... وإنها ستقمع كل محاولة للإخلال بالأمن أو التعرض للمؤسسات العامة والإعلام. كما انها تؤكد ضرورة عدم القيام بالتظاهرات والتجمعات مهما كانت غايتها.

البلاغ رقم (٨)

منعاً لاستغلال الحركة الثورية التي قام بها جيشكم من قبل بعض المنبوذين والمرتزقة والذين قاموا بأعمال تسيء إلى المصلحة العامة، وحرصاً على عدم استغلال عواطفكم، نطلب منكم أيها الأهلون عدم التجمّع والتظاهر. وقد أصدرنا أوامرنا لقواتنا، لتمع كل تجمّع وتظاهر على الفور.

البلاغ رقم (٩)

إن القيادة العربية الثورية للقوات المسلحة، التي دفعها الشعور بالخوف على وحدة الصف العربي، وحماستها للقومية العربية، وتأييدها لها دفاعا عن مقوماتها تعلن للشعب العربي الكريم أنها لا تنوي المس بما أحرزته القومية العربية، من انتصارات وتعلن أنها لمست عناصر مخربة انتهازية تريد الإساءة لقوميتنا، فقامت بحركتها المباركة تلبية لرغبة الشعب العربي وآماله وأهدافه، وأنها عرضت قضايا الجيش وأهدافه على سيادة المشير نائب الرئيس والقائد العام للقوات المسلحة الذي تفهم أمور الجيش على حقيقتها، واتخذ الإجراءات المناسبة لحلها، لصالح وحدة وقوة القوات المسلحة والجمهورية العربية المتحدة. وقد عادت الأمور العسكرية إلى مجراها الطبيعي اعتماداً على ثقتها بحكمة القائد العام للقوات المسلحة وقائد الجيش الأول اللذين يحققان أهداف القوات المسلحة والجمهورية العربية المتحدة.

البلاغ رقم (١٠)

إن القيادة الثورية العربية للقوات المسلحة تعلن للشعب العربي أنها لدى اتصالها بالمشير عبد الحكيم عامر، وعدها بالقضاء على الانتهازيين والمخربين مما دعاها لإذاعة بلاغها رقم (9) ولكن ما لبث المشير أن نكث بوعده. لذلك وحرصا من القيادة الثورية على انتصارات الشعب العربي والقومية العربية، تعلن للشعب اعتبار بلاغها رقم (9) لاغياً. وهي تعلن أنها وضعت يدها على كافة الأمور، وتعاهد الله والوطن على حماية سلامة الأمة، وصيانة حقوقها، والحفاظ على كرامتها. والقيادة الثورية لها من سعة وعي الشعب [في] عدم السماح للمأجورين والانتهازيين – إن وجدوا – أن يندسوا بين صفوفه، فالحركة للشعب وإلى الشعب.

البلاغ رقم (١١)

غادر البلاد في الساعة الخامسة والثلث من مساء هذا اليوم المشير عبد الحكيم عامر عائدا إلى القاهرة.

البلاغ رقم (١٢)

حرصا على الأمن وسلامة المواطنين من المأجورين والمخربين، يعلن منع التجوّل اعتبارا من الساعة التاسعة عشرة من مساء هذا اليوم حتى الساعة السادسة من صباح الغد، ويطلب من المواطنين التقيّد بهذا البلاغ، وعدم تعريض سلامتهم وسلامة حركتهم الثورية المباركة لشغب المشاغبين.

المصدر: كتاب (ثورة جيش وشعب)
منشورات مكتب أنباء سورية- دمشق 1961

مَاذا بَعد المِيثاق الوطني في سُوريا

تحقيق صحفي بقلم: زهير ماردِيني

عاشت سوريا في الأسبوع الفائت مرحلة جديدة في حياتها، وظهرالميثاق الوطني الذي يحدد معالم الطريق في المستقبل. الأسبوع العربي ترافق الأحداث السريعة التي تمر بها سوريا، وتكشف عن أسرار المعركة الانتخابية التي بدأ الاستعداد لها في كل المناطق تمهيدا لعودة الحكم البرلماني. كيف تم الاجتماع الذي انبثق عنه الميثاق الوطني؟ ما هي أدوار رجال السياسة والحكومة في الانتخابات؟ وأين يقف الجيش من المعركة؟ وما هي الحدود التي رسمها الميثاق الوطني للعمل السياسي في سوريا؟ هذا ما تكشف عنه (الأسبوع العربي) من دمشق في هذا التحقيق الصحفي الذي تطالعه في الصفحات التالية

إن الطريق الطبيعي لممارسة الديمقراطية، وعودة الحياة الدستورية البرلمانية هو إجراء انتخابات عامة. ولتحقيق هذه الغاية اتجه عمل الحكومة بصورة رئيسية إلى هذا الهدف، وانسجاما مع شعارات الثورة صدرت المراسيم والقرارات المتعلقة بالانتخابات وموعدها وقانونها. هكذا بدأ خط السير، وعلى هذا النحو أخذت القيادة والحكومة تتعاونان... وكان من أولى انعكاسات هذه الأهداف على الرأي العام تجاوب رجال السياسة مع العهد الجديد، وإذا كان البيان الأول الذي أصدره العاملون في الحقل السياسي بتأييد الانتفاضة تعبيرا عن استعدادهم للمساهمة في حمل مسؤوليات المرحلة الجديدة. التجمع القومي في طريق التنفيذ

في نادي ضباط حامية دمشق كان اللقاء صريحاً، لقاء بين سياسيين وقادة ثورة، السياسيون قالوا قرارهم بصراحة وكذلك فعل الجيش. لقد دخل رجال السياسة النادي وعددهم يزيد على الستين، حلقات حلقات، وكانت تلك الحلقات تدلل بوضوح على روح جديدة. روح التعاون وإسدال الستار على الماضي بكل مآسيه، ثم ما لبثت الدوائر أن تحطمت من بعض جوانبها ولصق اليمين باليسار، والفكرة الاشتراكية بالفكرة المحافظة، وإذا بالميثاق يأخذ ميسمه العام وتنفرط الحلقات الخصوصية ويطل وجه جديد. لقد عبّر عن هذا الجو أصدق تعبير الأستاذ جلال السيد حين قال: "هذا عهد المصالحة الوطنية، فمن أسأت إليه أرجو أن يسامحني، ومن أساء إلي سامحه الله".

وطالت الساعات والنقاش يأخذ طريقه الطبيعي، فرجال السياسة أمضوا طيلة السنين الماضية في عزلة، وكان لا بد من الشروع في التوصيات والمقررات وعرضها مشروعاً على هيئة المؤتمر، وانفرد من المجتمعين خمسة درسوا حشد الآراء والمقترحات المتناثرة وعرض الميثاق لإقراره.

السياسيون قالوا نحن حريصون على ألا يتدخل الجيش في السياسة، وقادة الجيش قالوا نحن حريصون على ألا يتدخل السياسيون في الجيش. ومن الالتقاء التام الذي حصل على هذا المبدأ، كانت نقطة بداية الميثاق.

دخل رجال السياسة نادي ضباط حامية دمشق وعددهم يزيد على الستين، حلقات حلقات، وكانت تلك الحلقات تدلل بوضوح على روح جديدة

أعطى رئيس الحكومة الضمانات الأكيدة بأن حرية الصحافة ستكون مصانة للجميع، وكل ما تبتغيه الحكومة هو عدم التعرض لأمن الجيش والسلامة العامة.

مناقشات حتى الصباح

كانت حرية الانتخابات هي النقطة الرئيسية التي دار حولها النقاش، في ذلك المؤتمر التاريخي الذي استمر أكثر من عشر ساعات، ولم ينته إلا مع خيوط فجر العاشر من تشرين الأول 1961. إن النتيجة المنطقية لعودة الجيش إلى واجبه الأساسي هي أن تكون المعركة الانتخابية معركة واضحة حرة، تضمن للجميع حريات كاملة غير منقوصة. وحول هذه النقطة تحقق التقاء جديد بين السياسيين وقادة الجيش من جهة، وبين الحكومة الانتقالية من جهة أخرى.

وعرف السياسيون إثر المناقشات التي اشترك فيها قادة الجيش ورجال الحكومة، أنه ليس للجيش مرشحون، وأعضاء الحكومة أو بعضهم يخوضون المعركة بصفتهم الشخصية، وحين طرح موضوع حرية الصحافة أعطى رئيس الحكومة الضمانات الأكيدة بأن حرية الصحافة ستكون مصانة للجميع، وكل ما تبتغيه الحكومة هو عدم التعرض لأمن الجيش والسلامة العامة.

وقد تكلم كل من السادة: سلطان الأطرش، جلال السيد، عبد الرحمن الكيالي، أكرم الحوراني، صبري العسلي، أحمد قنبر، هاني السباعي. وتكلم قادة الجيش أيضا فقال اللواء عبد الكريم زهر الدين مشيرا إلى المرحلة القادمة التي ستواجهها البلاد، معلناً أنه مما يسرّه أن يحضر هذا الاجتماع رجالات البلاد الذين يمثلونها أصدق تمثيل، وأن الغاية من هذا الاجتماع هي وضع ميثاق وطني في هذه الظروف، يعتنقه الجميع ليصار العمل على هديه وبوحي من تعاليمه.

وتكلم العميد موفق عصاصة فألقى كلمة دعا فيها إلى وحدة الصف الوطني، وضرورة تناسي الأحقاد ليعمل الجميع في سبيل الله والوطن، في نفوس واثقة مطمئنة ليبنوا صرح المجد في هذه البلاد عاليا شامخا.

سلطان باشا الأطرش: حضر وتكلم ووقع على الميثاق

صدور الميثاق الوطني

وفي جو من الألفة تم التوقيع على الميثاق من 61 شخصا يمثلون الأحزاب السابقة. من البعث العربي الاشتراكي السادة: أكرم الحوراني، صلاح البيطار، رياض المالكي، عبد الفتاح الزلط. ومن حزب الشعب السادة: أحمد قنبر، عبد العزيز الخلاج رشاد برمدا، رشاد جبري. من الحزب الوطني السادة: صبري العسلي، عبد الرحمن الكيالي، محمد طلس، ظافر القاسمي، لطفي الحفار، سهيل الخوري، أسعد هارون. ونقول من الأحزاب السابقة تجاوزا، لأن الكثيرين من الموقعين لا يريدون الاعتراف ببقائهم في الأطر الحزبية الماضية، وإنما جاء ذكر هؤلاء الأشخاص، بأنهم كانوا في السابق ينتمون إلى هذه الأحزاب.

ومن كبار الموقعين: سلطان باشا الأطرش، صبري العسلي، أمين النفوري، أحمد عبد الكريم، علاء الدين الجابري، فتح الله الصقال، محمد سعيد الزعيم، أسعد كوراني، خالد العظم، نصوح بابيل، الدكتور رشيد الدقر، حسن الحكيم، رياض الميداني، محمد مبارك، سعيد الغزي، عبد الكريم الفرحان، جلال السيد، مكرم الزاسي، هاني السباعي، عبد الرحمن العظم، حامد الخوجة، عبد السلام العجيلي، وغيرهم.

غياب رشدي الكيخيا:

ومن التساؤلات التي رددت غياب السيد رشدي الكيخيا، الذي نمى أنه أوفد من يمثله إلى المؤتمر، لأنه لم يقرر فيما إذا كان سيخوض المعركة الانتخابية أم لا؟ وهناك الكثير من التفصيلات أغفلنا ذكرها لعلاقتها بقضايا محلية بحتة.

ويتضمن الميثاق الوطني قيام جمهورية سورية عربية تعمل على إنشاء وحدة عربية على أساس لا مركزي، معتمدة في ذلك على مبادئ الحرية والديمقراطية في ظل نظام اشتراكي يجعل من الأمة وحدة تامة، ويسير نحو العدالة الاجتماعية والرخاء الاقتصادي فاسحاً المجال أمام حرية العمل الفردي من ضمن مصلحة المجموع. كما يتضمن الميثاق الدعوة لعدم الانحياز وخدمة السلام في العالم.

عدم إقحام الجيش في شؤون المعركة الانتخابية، أو في أي عمل أو نشاط سياسي فردي أو جماعي، ليظل الجيش منصرفاً إلى مهمته الأساسية، بعيدا عن السياسة

منع الدعاية الانتخابية للأفراد والعقائد السياسية في الإذاعة والتلفزيون، كيلا تُسخّر أجهزة الدعاية الرسمية لمصالح خاصة

ميثاق رجال السياسة والحكومة

وبعد المؤتمر تنادى الموقعون على الميثاق إلى اجتماعات متوالية لبحث الشؤون الانتخابية ووضع أسس لها تكفل الابتعاد عن العنف، وقد تم الاتفاق بينهم وبين الحكومة على جعل المعركة عادلة، ووضع رجال السياسة ميثاقا وقعوه بكاملهم، ينص على البنود التالية:

1- منع المهاترات حفظا لوحدة الصف وتماسك الشعب، لكي يخوض المرشحون المعركة الانتخابية بروح رياضية أخلاقية متسامحة.

2- عدم التعرض لسلامة الجيش وأمن البلاد كي لا يؤدي ذلك إلى بث الفوضى.

3- عدم إقحام الجيش في شؤون المعركة الانتخابية، أو في أي عمل أو نشاط سياسي فردي أو جماعي، ليظل الجيش منصرفاً إلى مهمته الأساسية، بعيدا عن السياسة، محتفظا بوحدته، ملتزماً حدود واجباته الكبرى.

4- منع الدعاية الانتخابية للاتجاهات التي تتعارض مع مبادئ القومية العربية الصافية التي تنبع من وجدان الشعب العربي في سورية، والتي تحترم تراثنا وتاريخنا وتؤمن بقيمنا الروحية ورسالتنا الحضارية؛ ذلك أن شعبنا يرفض استيراد المبادئ والعقائد الدخيلة على مقومات حضارتنا وتقاليدنا وينفر منها.

5- السماح بالنقد البناء الذي يكشف للمواطنين وجه الحق، ويجنب المسؤولين الانحراف والخطأ، في جو من التآلف والتعاون والعمل لخير الشعب والصالح العام.

6- منع الدعاية الانتخابية للأفراد والعقائد السياسية في الإذاعة والتلفزيون، كيلا تسخر أجهزة الدعاية الرسمية لمصالح خاصة.

7- تأليف لجنة ثلاثية من كل محافظة، برئاسة المحافظ، وعضوية أحد ضباط القوات المسلحة، وشخصية حيادية.

مجلة (الأسبوع العربي) 20 / 10/ 1961

عبد الناصر لسليم اللوزي: انت بالع لي كم كتاب اشتراكي وجاي تسمعهم لي؟*

عندما وقع الانفصال السوري، ذهبت إلى القاهرة حيث أجريت مع الرئيس عبد الناصر مناقشة مفتوحة، نشرت على ثلاث حلقات في الحوادث، (العدد 274 و275 و276 تاريخ 9 إلى 23/ 2/ 1962) تحت عنوان: "التجربة والخطأ في الوحدة والاشتراكية". وكان أساس هذه المناقشة، هي الاتهامات والانتقادات التي كان يطلقها خصوم عبد الناصر، والذين حاولوا تبرير جريمة تحطيم التجربة الوحدوية الأولى. ومن بين النقاط التي طرحتها أمام الرئيس: " أن التأميمات التي نُفّذت في الجمهورية العربية المتحدة هي إجراءات شيوعية وليست اشتراكية، والدليل أن الاشتراكية تدفع تعويضات لأصحاب المصالح المؤممة، بينما أنتم لم تدفعوا شيئاً. وهذا يعني أنكم أخذتم بنظام المصادرة الشيوعية "

وعندما توسعتُ في شرح الفارق بين المصادرة في النظام الشيوعي، وفكرة التعويض في النظام الاشتراكي التي تستهدف إزالة الفوارق سلمياً ودون أحقاد، وإعادة توجيه الاستثمارات... قاطعني الرئيس ضاحكاً: " هوّ انت بالع لي كم كتاب اشتراكي وجاي تسمعهم لي؟ ". وأجبت على الفور: فعلا، أنا قريت أكثر من عشرين كتاب عن الاشتراكية، من يوم ما انت أعلنت الاشتراكية.. بس اللي انا خايف منو يجي يوم اضطر أبلع لك عشرين كتاب عن الشيوعية! ".

وأدرك الرئيس ماذا أعني، فقد كان يعرف أنه لو أعلن التزامه بالماركسية – اللينينية، لتبعته في هذا الطريق بلا تردد ولا نقاش!

* من مقال (مأساة 23 يوليو) لسليم اللوزي

مجلة (الحوادث) 21 /7 / 1972

عبد الناصر يخوض معركة الانفصال غناءً:

أم كلثوم تصرخ في قادة الانفصال باسم مين يا خارجين عَ الشعب باسم مين؟

فريد الأطرش وعبد الحليم وشادية ونجاة الصغيرة وصباح ينجزون بزمن قياسي أغنيات تشتم الانفصاليين وتتهمهم بالعمالة بتوقيع كبار ملحني وشعراء مصر

كتب رئيس التحرير:

لم تكد تمرّ ساعاتٌ قليلةٌ على انتشار أخبار الانفصال، ووصول المشير عبد الحكيم عامر، ومعه قائد الجيش الأول جمال فيصل إلى القاهرة قادمَين من دمشق، بعد إحكام قادة الانقلاب قبضتَهم على الجيش، والمقرّات الرسمية، والمؤسسات الحكومية، حتى بدأ كبار مطربي وملحني مصر بشوش معركة الدفاع عن الوحدة، وهجاء الانفصال، واتهام قادته والمشاركين فيه بشتى تهم العمالة والخيانة.

أم كلثوم في قلب الهجوم

وسرعان ما تحوّلت إذاعة القاهرة إلى ورشة لإنتاج الأغاني، والأناشيد القومية التي تتمسّك بالوحدة، بعد أن جنّد كبار المطربين والملحنين أنفسَهم في خدمة المعركة التي قرّر جمال عبد الناصر أن يخوضها على أثير الإذاعات مستخدماً سلاح الفنّ، والأغنيات النضالية.

السيدة أم كلثوم لم تتردّد في المشاركة في هذه المعركة، بل كانت صاحبة الصوت الأعلى في الهجاء، وتقريع قادة الانفصال من الضباط السوريين، ومعها الشاعر أحمد شفيق كامل، والملحن الفذ رياض السنباطي، ولهذا صدحَ صوتُها بنبرة استفهامية استنكارية في أغنية حملت عنوان (باسم مين) تقول كلماتها:

"باسم مين يا خارجين ع الشعب إنتم باسم مين؟
باسم إسرائيل والاستعمار وباسم المأجورين
ولّا باسم الشعب... والشعب البطل منكم بريء
يا خارجين ع الشعب إنتم باسم مين؟"

وأراد عبد الحليم حافظ الذي سبق أن غنّى للوحدة (غنّي يا قلبي)، أن يتفوق على السيدة أم كلثوم في التعبير عن الموقف، فقدم بدل الأغنية اثنتين:

الأولى: كتب كلماتها صلاح جاهين، ولحنها الموسيقار كمال الطويل، وحملت اسم (لا يمكن) والثانية: (وحدة شعب) كتب كلماتها الشاعر عبد الوهاب محمد، ولحنها بليغ حمدي.

نجاة الصغيرة، وفي أجواء من الابتهال الديني للعلي القدير أن يحفظ الوحدة، غنّت (يا رب انصر أمتنا) التي كتب كلماتها حسين حلمي المناسترلي، ولحنها الموسيقار رياض السنباطي. تقول كلماتها

يارب انصر أمتنا يارب
يارب احفظ وحدتنا
يارب أمتنا الأمة العربية...
وحدتنا الوحدة القومية
بنسبّح بعلاك ونكبر..
أمنا مصر وسورية
وأبونا وأهالينا
لا غاصب ولا خاين يتحكّم
يوم فينا..
بردى والنيل
روحنا وأكثر

شريان ووريد شعب اتحرر
يارب.. يارب

ولم تتأخر الدلوعة (شادية) بإعلان نبرة التأييد السياسي لشخص الرئيس جمال عبد الناصر منذ عنوان أغنيتها الذي حمل (إحنا وياك ياريس) والتي كتب كلماتها محمد حلاوة ولحنها محمد الموجي، وفيها تحلوف شادية بصوتها العذب على أسماء المدن السورية فتنطقها باللهجة المصرية محاولة استمالة أذن المستمع وقلبه:

يادمشق ودير الزور يا حلب يا بلاد أحبانبا
وحدتنا طريق النور... نفديها بكل شبابنا
الشعب العربي بحاله وياك وياك وياك
لندالك هبت أبطاله.. واحنا وياك وياك

فريد وصباح ومساهمات المطربين العرب

المساهمات لم تقتصر على المطربين المصريين الذين تطول قائمة مساهماتهم، لتشمل: فايدة كامل في (إرادة الله) وكارم محمود في (تعيش الوحدة) ومحمد قنديل الذي سبق أن قدّم أجمل أغنيات الوحدة، وأكثرها شعبيةً وانتشاراً (وحدة ما يغلبها غلاب)، بل شملت المساهمات الفنانية في المعركة ضد الانفصال، المطرب السوري فريد الأطرش، والمطربة اللبنانية صباح.

وكان فريد الأطرش الأعلى نبرةً في هجاء الانفصاليين، بعد السيدة أم كلثوم، إذ تقول كلمات الأغنية التي كتبها فتحي قورة، ولحنها وغنّاها فريد الأطرش:

"قول للخاين والمأجور سيب الظلمة وعيش في النور
مش ح يفيدك خدمة سيدك اللي حياته غشّ وزور
مفيناش خاين ولا مأجور

ويتابع فريد الأطرش في أغنيته ذات اللحن الشعبي الشديد السلاسة، مؤكداً أنّ الوحدة ستنتصر، وعلمها سيبقى مرفوعاً عالياً يحرس أرض وطنه الغالي سورية:

"علم الوحدة ح يفضل عالي يحرس أرض الوطن الغالي
فين ح تروح من شعب مثالي مهما تلف ومهما تدور
سيب الظلمة وعيش في النور!"

أما المطربة اللبنانية صباح، فقد جاءت كلمات أغنيتها التي كتبها الشاعر اللبناني عبد العزيز سلام، ولحنها محمد الموجي (أنا وأخويا مع ابن عمي) مختلفةً في توجهها، وذات نبرة تصالحية ليس فيها أثرٌ للشتم أو الهجاء، تقول:

"أنا وأخويا مع إبن عمي وإحنا التلاتة على الغريب
وحب أهلي يجري في دمّي وكل عربي ليه حبيب
انا وأخويا والحب بينا فارد جناحه عَ النيل وبردى
وانا وابن عمي مهما تخاصمنا تصفى قلوبنا بكلمة وحدة
واحنا اتحدنا علشان بلادنا تعيش كريمة حرة بجهادها
أنا وأخويا مع إبن عمي... وإحنا التلاتة على الغريب"

تقول المعلومات أن هذه الأغاني تمّ إعدادها، وتسجيلها في الأيام الأخيرة من شهر أيلول/ سبتمبر عام 1961 حيث انكبّ الفنانون على تلقف الكلمات الغاضبة من الشعراء، واعتكفوا في منازلهم مع مُلحّنيهم لسماع الألحان وحفظها، قبل الانتقال إلى استوديوهات الإذاعة للتسجيل.

أكثر من ذلك... أجل بعضهم موعد دخولهم للمشفى لإجراء تحليلات أو عمليات جراحية إلى ما بعد الانتـــــهاء من إنجاز هذه الأغاني، كما فعل الموسيقار محمد الموجي الذي كان في ذلك الوقت يستعدّ لدخول مستشفى المبرّة، لإجراء عملية جراحية في القلب، وحجز غرفته في المستشفى، لكنه اضطر لتأجيل الجراحة، وانصرف للعمل في مكتبه ليلةً كاملة، حتى انتهى من وضع لحن "أنا وأخويا وابن عمي" لصباح، ثمّ لحّن أغنية شادية "احنا معاك يا ريس". وحفظت صباح الأغنية مع اللحن في اليوم التالي في ساعتين، وسجلتها مساء اليوم نفسه في الإذاعة بإشراف الموجي، وكل ذلك تمّ خلال ثمانٍ وأربعين ساعةً تلت إعلان الانفصال، وسقوط الوحدة.

سيناريو اللعب بالمشاعر، وتوزيع الأدوار

ليس مستغرباً أن يغنّي الفنانون بتكليف من القيادة السياسية، أو تلبية لرغباتها، فمن يعرف أجواء الأوساط الفنية العربية يُدرك تماماً أن هذه هي القاعدة لدى كبار الفنانين وصغارهم، وأن الاستثناء الذي يندر أن يحدث، هو أن يعتذر أحدهم مُعتبراً أنه لا يغنّي إلا برغبته الشخصية. ويمكننا ملاحظة أن هذه الأغنيات حاولت أن تلعب على الوتر العاطفي لدى المستمع العربي، وعلى حالة الإعجاب الفنّي بنجومه الكبار، بمعزل عن أي مناقشة عقلانية لأسباب الانفصال، أو لأخطاء تطبيق الوحدة ومسؤولية مَن تسبّب في وأدها، وسنلاحظ أيضاً أنه تمّ توزيع الأدوار بمهارة كالتالي:

- صوت أم كلثوم الشديد المهابة، والحضور اختيرت له كلماتٌ فيها نوعٌ من التحقيق الفوقي، مع قادة الانفصال، عبر السؤال: باسم مَن قمتم بهذا العمل؟
- صوت عبد الحليم المتوهّج دفئاً، وشباباً في غنائه الوطني اختيرت له كلماتٌ تعبّر عن الصدمة والذهول، وعدم التصديق، وعدم الاستسلام للأمر الواقع في الوقت نفسه.
- صوت نجاة الرقيق سلك طريق الابتهال الديني، بأن يحفظ الله الوحدة، وصوت شادية الخفيف الظلّ والمفعم بالظرف، راح يذكّر بوحدة الأهل والحبايب مستحضراً أسماء المدن السورية، ومنتمياً إلى الاصطفاف وراء الريس.
- فريد الأطرش بانتمائه السوريّ المعروف رفع صوته ضد أبناء وطنه من (الخونة والمأجورين) على طريقة: شهد شاهد من أهله!
- صباح اللبنانية التي لا تنتمي للجانب السوريّ، ولا المصريّ، أرادت أن تذكّر بأهمية تجاوز الخلافات بين الطرفين، أشقاء كانوا، أم أبناء عمومة، داعية لتجاوز الخلافات!

في المحصلة لم تنجح هذه الأغنيات لا في أن تُنزل جموع الجماهير الغاضبة إلى الشوارع، كي تردع الانفصاليين، ولا في حماية الوحدة من الانهيار، بل لم تبقَ في الذاكرة والوجدان، مثلما بقيت أغنيات الابتهاج بالوحدة، والتغنّي بها، فقد كان مصير بعضها - كما أغنية فريد الأطرش - المنع بسبب حدّة النبرة، ومصير أخريات الاختفاء تماماً من الأرشيف المتداول كأغنيتَي عبد الحليم، ولو لم نعش عصر الثورة الرقمية التي جعلت الهواة والمحترفين ينبشون التسجيلات المنسية، أو المعتم عليها، ويعيدون نشرها على الشبكة العنكبوتية، على سبيل الانفراد، أو الطمع به، لما سمعنا بهذه المعركة التي انتهت (زوبعة في فنجان) إلا على صفحات المجلات الفنّية القديمة، المتناثرة هنا وهناك.

خاص - العربي القديم

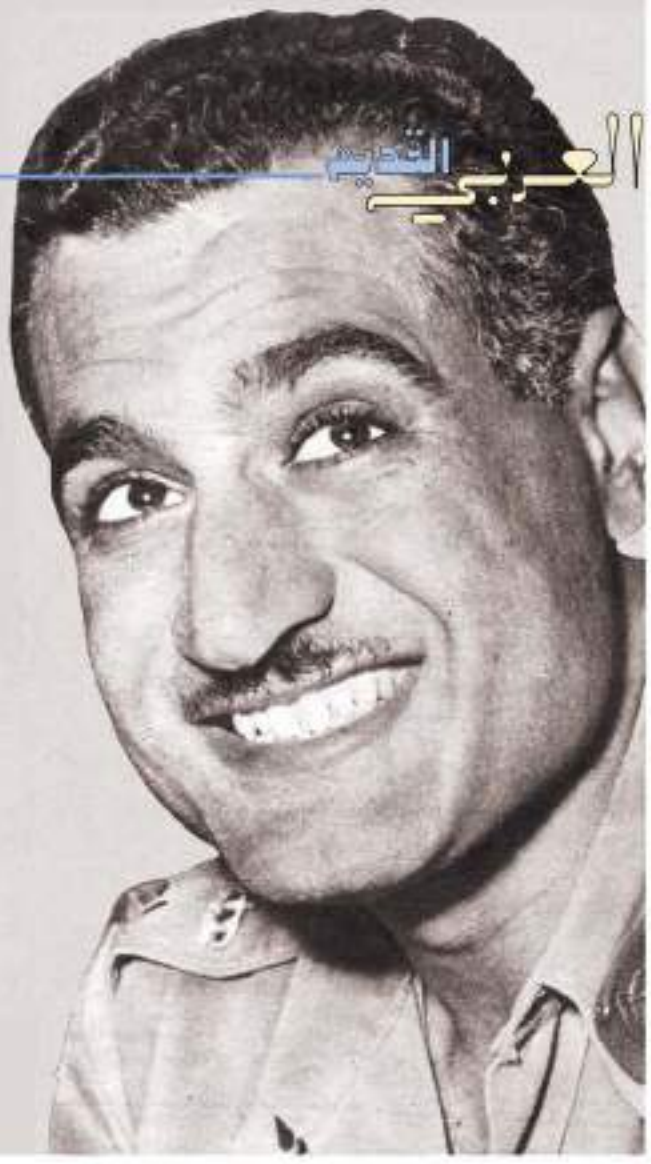

القضية

وصفوه بالطاغية ومُمزق الصف العربي وعدو العرب الأكبر:

صورة عبد الناصر في صحافة الانفصال!

ثلاث افتتاحيات صحفية لثلاثة من كبار الصحفيين في تاريخ الصحافة السورية تقدم لنا ملامح أساسية لصورة عبد الناصرفي صحافة عهد الانفصال... فما الذي تبقى من هذه الصورة اليوم؟

تحليل خطاب عبد الناصر

أصغيت ليلة أمس لخطاب الرئيس عبد الناصر، فلم أجد فيه جديداً أي شيء جديد مما اعتاد أن يُعلنه في خطبه في أعياد ثورة 23 يوليو، وإنما وجدت فيه مع ذلك ما يستحق أن ينتبه له كل عربي في سورية، وفي غير سورية، ليعرف أين يقف بالضبط من ينادي بنفسه زعيما للقومية العربية من المحيط إلى الخليج.

أول الأشياء التي أريد التنبيه إليها إصرار الرئيس عبد الناصر على متابعة مخططه في تفريق الصف العربي، وفي مثل هذه الأيام بالذات التي تواجه فيها قضية فلسطين العربية أخطر مراحلها، ورغم التنبيهات التي أطلقت من جميع العواصم العربية داعية إلى ضرورة وحدة الصف العربي، ليعاود انطلاقته التحررية ضد الاستعمار ومشاريعه من جديد.

ثاني هذه النقاط هي أن الرئيس عبد الناصر يريد أن يحرّض الجيش العربي في سورية، لا ضد إسرائيل والاستعمار مثلا، لأن جيشنا واع ولا يحتاج لمثل هذا التحريض، وإنما يحرضه ضد سورية شعبا واستقرارا وازدهارا وكيانا، وكأنه لا يعرف أن سورية التي أذلها أيام الوحدة، إنما انطلق من إذلالها من نقطة محاولته إذلال جيشها قادة وضباطا وصف ضباط وجنوداً، مما دفع الجيش العربي السوري إلى الانتفاضة المباركة دفعاً، لا لينفض محاولة الإذلال عن كتفي كل ضابط فرد من ضباطه وأفراده فحسب؛ وإنما ليعيد لسورية العربية كرامتها، لأنه لا كرامة للعرب قاطبة إذا أذلت سورية.

ثالث هذه النقاط، هي أن الرئيس عبد الناصر سيبقى طوال عمره يحلم بالعودة إلى سورية، لا قائدا وزعيما للقومية العربية كما أرادته سورية أن يكون لأول مرة، وإنما غازيا ومذلاً ومتسلطا. وإن سورية التي عرفت كيف تصمد دائما في وجه الغزاة والمذلين والمتسلطين، تعرف كيف تثبت هذه المرة أيضاً في وجه الرئيس عبد الناصر ومخططاته.

رابع هذه النقاط، هي أن الرئيس عبد الناصر بعد أن صفى رفاقه في مجلس الثورة الواحد إثر الآخر، لأن الديكتاتور لا يطيق شركاء ولا أصحاب رأي، وإنما يفتش عن "الزلم" والأتباع والمطبلين، راح ليلة أمس يصفي البقية الباقية من صحبه، دون أن يعلن صراحة هذه التصفية، عندما أهمل ذكرهم جميعهم - باستثناء كمال الدين حسين - في معرض حديثه عن ثورة 23 يوليو وقائع وتاريخاً.

وإذا ما قال قائل: "ولكنه ذكر أيضا المشير عامر"، فالجواب على ذلك هو أن هذا الذكر ذر للرماد في العيون، لأن أتباع المشير في الجيش المصري لم يَصفُوا جميعا بعد، وعندما تأتي الذكرى القادمة للثورة - إذا أتت - سيدرك الجميع أنه لن يكون هناك لا عامر ولا مشير ولا حكيم.

جريدة (الصدى العام) عدد (9) 23/7/1962

عدو العرب الأكبر

هذا الرجل القابع هناك في قصر القبة، إلى متى يظل يزعم أنه رائد القومية العربية؟

إلى متى يستمرئ المتاجرة بالدم العربي؟

وإلى متى يظل يسفك دماء العرب، ويخدم إسرائيل؟

إلى متى يظل بعض السذج مخدوعين بقوته وزعامته؟

إلى متى يظل مسيطرا قابضا على زمام الحكم، وعلى خناق الشعب المصري، ينتزع لقمته من فمه ليحيلها إلى سلاح يقتل به العرب، ويسفك دماءهم، ويزعم بعدها أنه زعيمهم وراندهم نحو الخير ؟!

الدماء العربية سفكت في الموصل وكركوك ولبنان وعمان واليمن بأيد عربية طاهرة، وسببها عبد الناصر. كلمة العرب تفرقت، ووحدة رأيهم تمزّقت، وتصميمهم على انتزاع فلسطين من غاصبيها تضاءل... والسبب في ذلك كله، هذا الرائد الدعي للقومية العربية. إسرائيل يا قوم في فرحة عامرة، بل في عرس بلا نهاية بعد أن حقق لها فرعون مصر أحلامها، ومزّق كلمة العرب، وكان السبب في فصم عرى الوحدة وتمزيقها.

لقد آن للشعب العربي أن يستيقظ، وآن للمخدوعين أن يدركوا حقيقة هذا الإنسان، وآن للمأجورين - في لبنان خاصة - أن يرجعوا إلى ضمائرهم، ويُوازنوا بين المال المقبوض، وبين قضية العرب التي مزّقها وداسها عبد الناصر. فمتى يضع العرب حداً لهذا الرجل؟ متى يقفون في وجهه؟ متى يحاسبونه ويصيحون به: " اخرج من هذا القصر.. قصر القبة، وتعال إلى ساحة القضاء العادل ليقول كلمته في جرائمك. فأنت عدونا الأكبر دون منازع.

مجلة (الدنيا) العدد (611) 1962/11/16

أحمد عسة:
إن سورية التي أذلها عبد الناصر أيام الوحدة، إنما انطلق من محاولته إذلال جيشها قادة وضباطا وصف ضباط وجنوداً، مما دفع الجيش العربي السوري إلى الانتفاضة المباركة

مصائر الطغاة

المؤامرة التي نشرتها الصحف أمس، وحاكما فريق من الضباط الأحرار في مصر للتخلص من عبد الناصر، نتيجة طبيعية لكل حكم مستبد، ونهاية حتمية لكل طاغية يحكم شعبه بإرادة الفرد لا بإرادة الجماعة أو الشورى. وإذا دلتنا هذه المؤامرة على شيء، فإنما تدلنا على مدى ما يعانيه الشعب المصري وجيشه من اضطهاد وضغط وتقييد وظلم. مما عرفناه وعانيناه بعض الوقت حتى زالت الغمة عن هذه البلاد وعادت إليها حياتها العادية.

وإذا لم تنجح إلى الآن مؤامرة من المؤمرات العديدة التي عُرف منها ما عرف، وخفي على العالم ما خفي، فلأن عبد الناصر وضع كل إمكانيات مصر الضخمة في خدمة التجسس والمخابرات والدعاية الكاذبة، وكانت نتيجة هذا الاقتطاع أنه منع اللقمة عن الجائع، واللباس عن العاري، وترك شعبه يتخبط في متاهات الفاقة ومهاوي العوز دون أن يحقق له أي سعادة أو رخاء أو ازدهار، خلال الإحدى عشرة سنة التي قضاها في الحكم. نقول إذا لم تنجح إحدى هذه المؤامرات فلأن الطاغية ينفق كل هذه الإمكانيات الضخمة على التجسس، حتى أصبح الأخ يخشى أخاه، والبيت الواحد يتربّص بعضه بعضا. ولكن هذا لا يعني أن عهد الطغيان سيطول حكمه، فشأنه شأن كل طاغية يستند إلى هذا النوع من الحكم الاستبدادي.

إننا إذا تركنا الطغاة في التاريخ القديم، ونظرنا إليهم في التاريخ الحديث، وجدنا أمامنا طغاة كانوا أعتى من عبد الناصر وأضخم، وأكبر شأنا في العالم كهتلر وموسوليني وغيرهما. وقد لقوا مصائرهم الوخيمة لأنهم أرادوا أن يحكموا بلادهم حكماً غير طبيعي، تمجه كرامة الإنسان، وتلفظه إرادة الشعوب. والشيء المنطقي أنه مهما بلغت الاستكانة في شعب من الشعوب، فإن النار تبقى تحت الرماد، أي أن تتاح لها فرصة الاندلاع. وطبيعة الشعب تلعب دورا رئيسيا في مصائر الطغاة، وهناك شعوب تأبى طبيعتها الاستسلام الطويل، فتنتفض على الطاغية وتلقيه في الهاوية بسرعة... كما أن هناك شعوبا طبيعتها أكثر أناة، ونفسيتها أطول صبرا على الضيم، ولكن ليس معنى هذا أن تستمر دائما وأبدا في استكانتها، بل لابد لها من انتفاضة تحطم بها من يحكمها دون إرادتها، ويشد على عنقها ليسلبها الحيوية ويقضي على روح المقاومة فيها. إن عمر الطغاة في قصره وطوله رهن بأمرين: أولهما طبيعة الشعب، وثانيهما مدى ما يفرضه الطاغية على بلده من قيود ويكبله به من أغلال، ويفرض عليه من رقابة وتجسس.

ومما لاريب فيه أن الشعب المصري مفروض عليه أضخم جهاز للرقابة والتجسس ولهذا يبدو أمرا طبيعيا عدم نجاح محاولات القضاء على طاغية مصر حتى الآن. ولكن نجاحها آت لا ريب فيه، وكحقيقة تاريخية ومنطقية لابد وأن يتخلص الشعب المصري من جلاده كما تخلصت شعوب كثيرة من جلاديها في فترات متلاحقة من الزمن، ومن المؤكد أن شعب مصر الشقيقة وجيشه لن يصبر على الضيم أكثر مما صبر، ومادامت طلائع الدفاع عن الحرية قد بدرت بوادرها في أعمال الضباط الأحرار، فإن الوصول إلى تحقيق إرادة الشعب بات قريبا، ورحم الله أبا القاسم الشابي القائل: إذا الشعب يوما أراد الحياة فلا بد أن يستجيب القدر.

صحيفة (الأيام) العدد (7834) 8/2/ 1963

القضية

ما الذي تبقى من صورة عبد الناصر في صحافة الانفصال؟

مصعب الجندي

منطق التحليل نفسه والعقلية نفسها

أقارن هذه المقالات مع مقالات وتحليلات كثير من كتّاب الأعمدة الصحفية، ومحللي الفضائيات و"الفيس بوك" في أيامنا هذه، لأرى إن كنّا تعلمنا درساً!

أكثر الأمور التي تُرعبني هذه الأيام هي القراءة المنقوصة للتاريخ، لأنّ الكثيرين منّا يمحونه، ويكتبونه، فيضلل وضوحه، ويغدو القرّاء (من غير المحكّمين للقراءة عقلاً) مشتتين بين اضطرابات النص والفتاوى، والمصيبة ألا يقبلوا احتمالات الحساب، أو مختلف الشروح... الأصل أن نقف وسطاً في التاريخ قريبه وبعيده، وأن نقرأه بكلتا العينين، وأولاً، ثم أولاً ما علينا، وتالياً ما على الآخرين، وهنا تجتمع الشجاعة والحكمة في القراءة والكتابة، ويكون التاريخ درساً نتعلم منه، وليس نكوصاً نعيش فيه.

أن ننكر أن عبد الناصر كان ديكتاتوراً هو مجافاة للحقيقة، لكنه امتلك كاريزما لم يحظ بها أي ديكتاتور قبله، أو بعده، وجاء في مرحلة الفراغ السياسي السوري والعربي، والبحث في هويات وطنية (وهنا حديث آخر). دكتاتور وصل السلطة بانقلاب، لكن أن نحمّله مسؤولية ما بعده من الديكتاتوريات سنكون من الظالمين، لأن عسكرنا نحن السوريين من فتح شهية العسكر على الانقلابات والسيطرة على مقدرات السياسة (حسني الزعيم آذار 1949، سامي الحنّاوي آب 1949، أديب الشيشكلي أكتوبر 1950) وتلك الانقلابات في جزء كبير منها نقل سوط الجلاد من ساعد إلى ساعد، وفي كل مرة يزداد الجلاد فنّاً وخبرة باستخدام سوطه، إلى أن وصلنا إلى خبرة ما بعدها خبرة. مشكلتنا أننا نُمسك واقعة تاريخية، ونبني عليها المواقف، وفق تجاربنا، وما نؤمن، وننسى التراكم.

الوحدة قامت على العواطف، ورغبة الشارع السوري وأحلامه العروبية التي فرضت على السياسيين المزاودة عليها، مع الضغوط السياسية والأمنية، وكلنا يذكر أطماع إسرائيل في مياه (الحمّة ووادي اليرموك) حيث كانت النية الإسرائيلية واضحة بالسيطرة عليها، وكلنا يذكر أن أول وفد توجّه سراً لمطالبة عبد الناصر بالوحدة كان من العسكريين، وتلاهم السياسيون، والمضحك المبكي أن كثيراً منهم أيّد الانفصال كأكرم الحوراني، وميشيل عفلق الذي أصدر بياناً أيد الانقلاب، وبعد أيام سحبه وتنصل منه، ونضيف أحلام عبد الناصر بزعامة الأمة (ولنكن منصفين لم يكن شعوره بالزعامة من فراغ، أو لأنه دكتاتور فقط).

أما معوقاتها، فكانت أولاً: تفاوت مستوى الغنى والفقر بين الشعبين (85% من السوريين طبقة وسطى، و15% بين أغنياء وفقراء، بينما عند المصريين 85% من الفقراء، وهذا الفقر كان سابقاً لوجود عبد الناصر، ولم يأتِ معه، فبنية المجتمع المصري من الوجهة الاقتصادية أشبه ما تكون بالهند - فقر تاريخي- فشلت كل محاولات التخلص منه). وثانياً: تعامل العسكريين المصريين بغطرسة مع زملائهم السوريين، كناتج طبيعي لعراقة الجيش المصري وقدمه، من حيث التشكيل في المنطقة العربية، وهنا واقعة أذكرها للتوضيح: (شارك النقيب، في حينها، عبد الكريم الجندي بمسابقة لرماية المدفعية، وكان الأفضل فيها، لكن المشير عبد الحكيم عامر أصرّ أن يفوز ضابط مصري، فما كان من عبد الكريم - وكان متهوراً أرعن - إلا أن تهجّم على المشير ونال عقوبة شديدة، ولولا تدخل بعضهم لسُرّح من الجيش)، وعلينا ألا ننفي وجود نزعة وطنية لدى الطرفين، وإن كانت عند المصريين فرعونية أوضح، وعند السوريين ذات خلفية إثنية وطائفية مبطنة؛ فرغم أن واقعة الانفصال كان أغلب قادتها من الضباط الدمشقيين، لكن كان لها قبول ضمني لدى أغلب العسكريين، ولم يعترضوا عندما كان رأس الحربة بالتنفيذ لواء الهجانة الذي قاده المقدم حيدر الكزبري، ومدير مكتب عبد الحكيم عامر، إلا أن بنية هذا اللواء في غالبيته من حيث التشكيل، - الفرنسي الأصل - (صف ضباط وجنود كان من غير البدو، كما يتوهم بعضهم، ولم يتعدّل التشكيل إلا مع الفريق أمين الحافظ). هذه البنية كانت العامل الحاسم في نجاح الانقلاب، مما يدفعنا لليقين بأن قبول العسكريين كان لكل واحد منهم دوافع تختلف عن الآخر.

كثيرة هي أسباب فشل الوحدة، وأعتقد أنني ذكرت الأهم. أعود للمقالات موضوع قضية عددنا، وأتوقع أن بعضهم سيجدونني مُغرداً خارج السرب. نعم، تورّط عبد الناصر في الموصل وكركوك، وفي القامشلي أيضاً، حين ألغى الجنسية السورية للأكراد الآتراك الذين فرّوا من القمع التركي، ومنحهم الإقامة والحماية فقط، فلم يكن على وفاق مع ورثة الأتاتوركية وأطماعها في الموصل وحلب، وهذا ليس حماية للعرب، فقد كانوا أيضاً أقلية في تلك المنطقة، وإنما حماية للأكثرية حينها (الآشورية الكلدانية السريانية).

نعم تورّط عبد الناصر في حرب اليمن ضد خصمه آل سعود، وحلفائهم في ذاك الوقت حوثّي إيران اليوم، وعند هذه النقطة بالإضافة لهزيمة 67 أظن أن الكثيرين اطلعوا على الوثائق المُسربة من السفارة الأمريكية في عمان التي نشرتها صحيفة (المحرر) اللبنانية عام 1973 عن الرسائل المتبادلة بين الملك فيصل، والرئيس الأمريكي جونسون، حيث طُبع من الصحيفة ثلاث طبعات، وبيعت آلاف النسخ، وأدت إلى مقتل الصحفي الذي حصل عليها، ونشرها، وخروج (وليد أبو ظهر) صاحب الصحيفة إلى فرنسا، وتأسيسه مجلة الوطن العربي.

أقارن هذه المقالات (ولا أسقطها، فالإسقاط خطأ) مع مقالات وتحليلات كثير من كتّاب الأعمدة الصحفية ومحللي الفضائيات، والفيس بوك في أيامنا هذه، لأرى إن كنّا تعلمنا درساً، وللأسف ما تعلمناه (وكأنك يا أبو زيد ما غزيت): منطق التحليل نفسه، والعقلية نفسها، وأحاول أن أجد سبباً لهذا الاستعصاء الفكري، فلا أجد إلا أحادية التفكير، بالاستناد إلى مرارة التجارب وقسوتها، والأهم ما زلنا في فخ العقائد، وإن ادّعينا غير ذلك.

لنتذكر (منين جاني الوجع ده)، من منّا نسي هذه الجملة لعبد الناصر، وفي عزّ أيام الوحدة، والتي سرّبها عن عمد مدير الدعاية والأنباء في الإقليم الشمالي، وعضو مجلس الأمة حينها، عبد الناصر كان في حيرة من أمره كيف يحافظ على دكتاتوريته وبالوقت نفسه يُرضي السوريين... كُلّ من تجاوز عمر السادسة والستين يذكر المدارس بين أعوام1961و1963 (لا دراسة ولا تدريس إلا بعودة الرئيس) (ناصر، ناصر، ناصر، الله كبير والله الناصر)

مَن يذكر قاسيون حين أحرق شباب تقودهم السيدة الدمشقية سعاد ميرزا الحطب بتشكيل جملة (تحيا الوحدة). الأغلبية من أبناء سوريا عروبيون، وأنا أعني تماماً تلك الأغلبية التي تدفع اليوم ثمن وسطيتها بين (العروبة / الإسلام) والسورنة، كنت طفلاً، عندما وعيت على النشيد الذي فرضه عبد الناصر في المدارس بدلاً من النشيد الوطني (وعقدنا العزم أن تحيا الجزائر)، واستمر الانفصاليون (عروبياً) على هذا النشيد في المدارس إلى أن (شهدوا 1962)، وكنت في بداية مراهقتي أيلول 1970بقرب السفارة المصرية، لأعرف كيف تنتحب المدن على فقيد غالٍ عليها، حتى وإن خاصمته.

همام البني

عبد الناصر ظالماً ومظلوماً: 1958 - 1961

سأستعير فكرة مجلة "العربي القديم" العابرة للأزمنة، للمستقبل لا إلى الماضي، مجموعة من الباحثين والكتاب الصحفيين على بُعد خمسين عاماً من اليوم، في سبعينيات الألفية الثانية يناقشون نقداً وتحليلاً ثلاث مقالات كتبت عن وضع متأزم عصف بسوريا منذ عام 2011

جاء في الأول "سنوات العدوان الماضية أجبرت الغرب الاستعماري على استخدام مختلف أساليب وطرائق العدوان المباشر، بدءاً من أكذوبة المطالب كوسيلة للتظاهر، مروراً باستخدام المجموعات الإرهابية على اختلاف أشكالها وتسمياتها، وصولاً إلى التدخل العسكري المباشر في محاولات لتنفيذ الفقرات التفصيلية للمخطط العدواني الهادف إلى السيطرة على مقدرات وثروات المنطقة وسلب قرارها وإرادتها *".

أما المقال الثاني فحلل الوضع القائم آنذاك،"بينما تريد أنقرة فرض دور لها في أية مفاوضات مستقبلية، ونيل حصتها من كعكة التسوية، فإن اللاعبين الكبار، في واشنطن وموسكو، لديهم حسابات ومصالح مختلفة، منها ما يتعلق بمناطق النفوذ، ومنها ما يتعلق بالسباق على قيادة الساحة الدولية، لكن أياً تكن هذه الحسابات، فإن الشعب السوري هو من يدفع ثمن فاتورتها الباهظة، سواء بالعقوبات أو باستمرار النزيف الدموي، طالما أن التسوية المنشودة مغيبة *".

وتحدث المقال الثالث عن "عشرة أعوام رهيبة شهد العالم خلالها حمام الدم السوري، بأكثر من مليون قتيل ومعوّق ومصاب، بلا أي مبالغة، وكارثة إنسانية مراوحة بين مجازر سجون النظام ومآسي عائلات المفقودين، وبين ستة ملايين ونصف مليون مهجر ولاجئ وغارق في مياه المتوسط، ودمار عمراني هائل نال من الحواضر التاريخية وتراثها مع ما رافقه من نهب منظم للآثار وتشويه لمعالم بعض منها عمّر أكثر من ألفي عام، وتمزيق لنسيج اجتماعي عريق صهر التعددية في تعايش مشهود له بسلميته *".

ما النتائج المتوقعة، هل ستعتمد الدراسة الصادرة حينها على عوامل موضوعية، سياسية واجتماعية قادرة على تفنيد الكارثة السورية، فكرة "دراسة الحادثة التاريخية" من المغالطات المنطقية الموروثة، التاريخ ليس علماً يقبل الدراسة والبحث، العامل الذاتي مدمر للمنهج التجريبي، الذي تعتمد عليه العلوم الأكثر دقة كالفيزياء والكيمياء.

من الذي يكتب؟ تجاربه، سماته الأخلاقية، تقلباته وتقلبات الحياة معه تحتوي نصف الإجابة، النصف الآخر هناك عند الذي يقرأ ويحلل؟

الموضوعية مسألة شديدة التعقيد في مجال تحكمه الجوانب الذاتية، السوري "البعثي" الذي يكتب عن عبد الناصر، ليس كالسوري الآخر، البرجوازي، الريفي والمدني، كلها صراعات تطرح إشكالاً واسعاً، يقول محمود رياض أحد رجال الوحدة الأوائل والسفير المصري في دمشق: "الصراع لم يكن بأي حال بين عبد الناصر وحزب البعث، وإنما بين السوريين أنفسهم، لأن القوى غير البعثية كانت ترفض سيطرة البعثيين على الحكم في سوريا".

في كتاب The Black Swan"" "البجعة السوداء" للكاتب الأميركي، نسيم نيكولا طالب، الفيلسوف وأستاذ "اللايقين" في جامعة نيويورك، والبجعة السوداء رمز للأحداث النادرة وغير المتوقعة التي تحدث تأثيراً كبيراً في التاريخ والعلم والفن، ينتقد الكتاب بشكل قاطع التفكير العقلاني والمنطقي الذي يحاول قراءة الماضي وتحليله، ويوجه دعوة مفتوحة "للتواضع" خاصة أولئك الذين يعتبرون أنفسهم "خبراء" في مختلف ميادين الحياة، يحثهم على إعادة النظر والتساؤل من جديد حول كل ما يعتبر أمراً بديهياً، فما من يقين فعلي ودائم لأي فكر أو قناعة أو توجه في مسيرة الحياة بشكل عام، ولا لمسيرة الفرد الشخصية، نتيجة وجود "البجعات السوداء" المجهولة، غير المتوقعة واللامنطقية التي تتحكم بنا وبعالمنا *.

يبدو محمد حسنين هيكل صديق الرئيس ونديمه أول من اكتشف محدودية ناصر في قراءة المستقبل عندما حمله في كتابه "سنوات الغليان" مسؤولية الكثير من الأخطاء التي ارتكبت في جمهورية الوحدة، نتيجة اعتماده على مسلمات سياسية قديمة، دون أية رغبة منه في تقييمها أو تعديلها للخسارة في التاريخ أو لإنجاز حكم قطعي جمعي وحيد، حاضر مصر وسوريا اليوم.

هوامش:

* مقال نشر في صحيفة (الثورة) التابعة للنظام
* مقال نشر في صحيفة (الخليج) الإماراتية
* مقال نشر في (الوطن) السعودية
* من كتاب (البجعة السوداء)

عدنان عبد الرزاق

عبد الناصر ماله وما عليه

على استفزاز مقولة: "له ما له، وعليه ما عليه" لما توحي به من حيادية، وشيء من التسليم، وأشياء من تهرب تحمّل مسؤولية "قول الحق" بيد أني رأيتها، وربما، الأنسب للكلام عن الرئيس الراحل، جمال عبد الناصر.

وعلى الأرجح، زاد من جرأتي على استخدام هذا العنوان "التافه والمكرور" ما لاقيناه وعايشناه، بعد ثورات الربيع العربي، والأحداث برمتها نسفت كثيراً من القناعات، وما ظننّاها حقائق لعقود، إن على مستوى المتثاقفين والقادة والأحزاب، أو حتى على الصعيد الأشمل، من منظمات دولية، ودول لبست لعقود ثوب العدالة والديمقراطية مقلوباً.

فتلوّن ما اعتبرناهم قواطر، وقمع حكام "زمن الرعيان" حلم الشباب العربي بالتطلّع للعيش الآدمي لدول لا بمزارع، ولو عبر مدّ أيديهم -القادة- الملوّثة للأعداء التقليديين والتاريخيين بطهران أو بموسكو، أو حتى ببعض القارة العجوز، الذين عرّت ثورات الشعوب العربية ادعاءات ديمقراطياتهم ونصرتهم لحقوق الشعوب.

دفعنا، ذاك وغيره، للعدّ للعشرة، والنفخ على الحليب، قبل التسرّع بالحكم على عبد الناصر، أو حتى الحبيب بورقيبة، بالاستناد إلى الذي قرأناه أو أريد لنا أن نقرأه، أو ما سمعناه وسُمح لنا أن نسمعه، من مُغيّبين مُحبين لناصر سعوا لتأليهه، أو كارهين شيطنوا "أبا خالد" لدرجة التخوين والعمالة.

فأن نستمرّ بالنظر لناصر كمخلّص، وساعٍ للوحدة، وتقوية الأمة، لا مصر فحسب، بالاعتماد على تسويق أمني كان سبّاقاً به على صعيد المنطقة، أو موته مديوناً، وليس في جيبه سوى عشرات الجنيهات، فتلك الحماقة بعينها. كما أن نتابع الغرق بمستنقعات المُخوّنين لجمال، واعتباره متآمراً على الشعوب، ومؤسساً للاستبداد، بالاتكاء على أحاديث "البعثيين أو الإخوان" أو للذين يرون بأفعاله مسرحيات، كالاستقالة، واستقلال السودان، أو الحروب والتأميم، والمشاريع الاقتصادية، أو غدراً ووصولاً على فضائل الأصدقاء كتقييده لمحمد نجيب، فذلك هو الاستيلاب، وتأجير العقل، لمنع المحاكمة وفق النتائج.

قصارى القول: استخدم الراحل عبد الناصر، لاستمرار حكمه، وتخدير الشعب، شعارات عريضة، وأحلاماً واسعة، فحتى الديمقراطية، ورمي العدو بالبحر، لم تسلم من ادعاءاته، رغم حكمه الفرديّ، وانقلابه العسكري في يوليو 1952 على الملك فاروق، وما أتبعها من "توسّع" للحلم والديكتاتورية، كوحدته مع سورية، لينسف ملامح الديمقراطية، والتعددية الحزبية والبرلمانية، وحتى الاقتصادية بسورية وقتذاك، واقترافه "جرم" التأميم، ليبدد تطلعات لم تزل علامة فارقة بتاريخ سورية حتى اليوم. قبل أن يصف "انفصال أيلول 1961" بالخيانة والطعنة، وتتبدّل بعض قناعاته للعروبة، وحقّ الشعوب، إن قبل تدخله بحرب اليمن، أو بعد هزيمة حزيران 1967.

لكن ذاك الناصر نفسه حاول، كما كليب بناء دولة، عبر تأميم قناة السويس، وبناء السدّ العالي، والتأسيس لصناعة وطنية تُغني عن المستورد، بعد أن وزّع الأراضي الزراعية، وفهم أن معادلة القوة تنطلق من الكفاية.

لنكون، بين هذا وذاك، أو بصيغة أدقّ، يُراد لنا أن نكون بتيه، وعدم تعيين، وقدرة على الحكم، على رجل ومرحلة، ربما هما من أهمّ فترات النزق، والمدّ القومي العربي، للتطلّع للقوّة.

نهاية القول: ربما لا أتعس، ولا أسوأ، و لا حتىأظلم، من الحكم على أحداث، وشخصيات، ومجريات الماضي، بمسطرة وقناعات، وحقائق الحاضر، كما لا أسهل، ولا أيسر سرقة للضوء، كما اختصار الكلام بصفات معلّبة، وأحكام قيمة جامدة، من قبيل خائن وعميل، أو بطل، ورجل دولة. فالتعميم أيا كان، قتّال، فماذا لو كان بتشخيص، وتوصيف مرحلة وحكم، فحينذاك، تضاف الجهالة أو الغائية، وتستبعد ظروف المرحلة وتبعاتها عن أدوات المَوصّف والمُحلل.

لذا، أعتقد، ولمجرد بقاء ناصر، بعد موته لنيف ونصف قرن مسموماً موضع جدل وخلاف، رغم مرور رؤساء، وزعماء، وانقلابيين عرب كثر، لهو دليل كافٍ على أنه امتاز، بما افتقر إليه سواه من كاريزما، وحلم، وبناء دولة... وإن بقيت ريادته بتأسيس الاستبداد، وتسلّط المخابراتية، وإرساء القطيعية، مآخذ دامغة قلما تحتمل الجدل.

منه وعليه وإليه، قلنا: له ما له وعليه ما عليه، من دون أن ننكأ جراحات نبشتها ثورات الشباب العربي، من قبيل أمراض المثقفين، وعمالة الحكام... أو حتى جهل جلّ المجتمعات العربية لدرجة انقيادها، لتجّار الدين، وجياع الحكي، ومرضى المناصب... ودور هذي الآثار مضروبة بألف، كانت متفشية بالمجتمع العربي، خلال حكم ناصر في خمسينيات القرن المنصرم.

حسام الدين الفرّا

عبد الناصر راعي الانفصال والنكسة

كثيراً ما كنت أسمع، وأنا طفل صغير لم أتجاوز العاشرة من العمر أناشيد حماسية راجت في ستينيات القرن العشرين، وما بعدها بقليل تمجّد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر، ومن هذه الأناشيد:

(عبد الناصر يا جمال يا مقدام عروبتنا
فيكم حققنا الآمال ولنا غاية وحدتنا
فيكم حققنا الآمال وكنا رهن الاستقلال
وعَ نهجك سارت أشبال في تعزيز كرامتنا)

كان الأهل يردّدون على مسامعنا هذا النشيد، بمنتهى الحماس والصدق، حسب وعيهم السياسيّ المحدود في ذلك الوقت، فقد استبدّ عبد الناصر بقلوبهم، كما استبدّ بالوطن شماله وجنوبه، وربما هذا ما دفع الفنّان الشعبي ياسين محمود، لأن يغنّي النشيد السابق (عبد الناصر يا جمال)، وهو الحموي الكردي الأصل، ولكنه العروبي الهوى والعشق.

كانت الوحدة مطلباً شعبياً يتلهّف السوريون لها، وربما هذا ما دفع إلى الإسراع بقيامها، مع مصر عام 1958، وقبول شروط عبد الناصر بحلّ الأحزاب، وغير ذلك من إملاءات مُجحفة بحقّ الإقليم الشمالي (سوريا).

جعل عبد الناصر سوريا حديقة خلفية لمصر، ونصّب عليها صديقه وزميله المشير عبد الحكيم عامر الذي حكمها بالحديد والنار، بمساعدة المخابرات، وعلى رأسها العقيد عبد الحميد السرّاج الذي، لاحق الأحزاب، وكمّ الأفواه، فامتلأت السجون بالأحرار، ولاسيما سجن المزة العسكري الذي شهد فظائع وجرائم الجهاز الأمني، وتجلّى ذلك بإعدام المناضل الشيوعي فرج الله الحلو، وإذابته بالأسيد.

لا شكّ أن عبد الناصر وحدَه مَن يتحمّل مسؤولية كلّ ما جرى من أخطاء وتجاوزات، بحقّ الوحدة والسوريين،

فانتهت الوحدة بتمرّد الضباط السوريين في دمشق، وأعلن الانفصال عام 1961، وتخلّص السوريون من عهد التسلّط والتحكم، من قبل ثلّة من الضباط المصريين الذين أُطلقت أيديهم في الإقليم الشمالي، ليفعلوا ما يشاؤون، ويقيموا نواة لدولة بوليسية.

من جهته أعلن عبد الناصر في خطاب جماهيري استنكاره، لما حدث، وحمّل المسؤولية كالعادة للرجعية والرأسمالية التي تتربص بالبلاد والعباد، ولم ينسَ عبد الناصر أن يذكر الإنجازات التي تحقّقت في سوريا في ظلّ الوحدة.

عبد الناصر، كما هو معروف من دُهاة الساسة في عصرنا، ويعرف ما كان يفعل بالضبط، وهو بخطابه التعبويّ أراد التنصّل من مسؤوليته عن الانفصال، كما حدث بعد ذلك عند نكسة حَزيران، ففي التاسع من يونيو عام 1967، وبعد خمسة أيام من النكسة، كنوع من التظاهر بتحمّل مسؤولية النكسة، تنحّى الرئيس المصري جمال عبد الناصر، وخرج بخطابه الشهير وقال فيه:

" لقد قررت أن أتنحّى تماماً ونهائياً، عن أيّ منصب رسمي، وأيّ دور سياسي، وأن أعود إلى صفوف الجماهير، أؤدّي واجبي معها كأيّ مواطن آخر"

بهذه الكلمات أعلن عبد الناصر تنحيه عن رئاسة الجمهورية، وإسناد المنصب إلى زكريا محيي الدين أحد الضباط الأحرار وعقب سماع خطاب التنحّي، قيل بأن جموع الشعب الغفيرة خرجت في مسيرات ترفض خطاب عبد الناصر، وتطالبه بالعودة إلى الحكم، من جديد مُرددة هتافات:

(ارفض ارفض يا زكريا عبد الناصر مية المية)،

وردّد الشعب الهتاف الذي ذاع صيته في الآفاق:

(أحا أحا لا تتنحّى)، مُوجّهين الهتاف لعبد الناصر.

وشاركت أمّ كلثوم الشعبَ المطالبةَ ببقاء الرئيس، ورفض التنحّي بأغنية بتوقيع صالح جودت تأليفاً، ورياض السنباطي تلحيناً، حيث غنّت فيها:

(قم واسمعها من أعماقي فأنا الشعب
ابقَ فأنتَ السد الواقي لمنى الشعب
ابقَ فأنتَ الأمل الباقي لغد الشعب)

وبسبب هتاف (أحا) الشهير، عاد عبد الناصر عن قرار استقالته في اليوم التالي.

يبدو بأن لكلمة (أحا) سحراً خاصاً أعاد عبد الناصر إلى سدّة الرئاسة.

إعلان الاستقالة كان مجرّد مسرحية مُتقنة التأليف والإخراج، وهو أي عبد الناصر حسب حساب كلّ شيء، قبل خطابه الشهير، وهو بحركة التنحّي الخلبية أراد امتصاص نقمة الجماهير الغاضبة، من نتائج نكسة حزيران،

لذلك قال عبد الناصر لمحمد حسنين هيكل:

"إنني لا أستطيع أن أتصوّر ما سيفعله الناس، والله لو أنهم أخذوني إلى ميدان التحرير، وشنقوني فيه لما اعترضت عليهم".

ولكنّ هناك من الشعب المصري مَن لم تنطلِ عليه الحيلة، وطالب بالتنحي حقيقةً وليس كلاماً، ورأى أن الدكتاتورية هي التي ساقت الجماهير، إلى التمسك بالرجل الأوحد وتمجيده.

لذلك وجّه بعضهم لعبد الناصر الهتاف: (أحا أحا أنت مش حتتنحى ؟!).

وهكذا استطاع عبد الناصر التخلّص من عقابيل النكسة بخطاب تنحّيه المزعوم، ولكنه عند الانفصال لم يستطع بخطابه التعبويّ أن يُعيد اللحمة والوحدة، بين شطري الجمهورية العربية المتحدة، لأن أكثر الناس حماسة للوحدة في سوريا آنذاك كفروا بها، وطالبوا بالانفصال.

كلّ المتابعات الصحفية التي واكبت الانفصال، بين شطري الجمهورية العربية المتحدة، أو التي كُتبت بعد ذلك لكتّاب سوريين تُجمع على أن جمال عبد الناصر طاغية ودكتاتور، وإن تزيّا بلبوس القومي والوطني، وإنه تاجر بالوحدة، وبالقضية الفلسطينية.

عبد الناصر دكتاتور لم يتورّع عن قتل أقرب أصدقائه، وهو المشير عبد الحكيم عامر الذي قيل إنه مات مسموماً، وهذا ما ألمح إليه، وحذر منه الكاتب الصحفي أحمد عسة في المقال المرفق بهذا العدد.

جمال عبد الناصر رمز من رموز الديكتاتورية في الوطن العربي والعالم، وهو لا يقلّ إجراماً ودموية عن زملائه الآخرين من الحكّام والرؤساء، ولكن السؤال: هل كان لعهد الوحدة، والقضاء على الحياة السياسية دور في ما وصلت إليه سوريا من سيطرة حكم البعث، والحركة التي سُميت بالحركة التصحيحية؟!

أجرأ مذكرات عن فترتي الوحدة والانفصال

بشير العظمة في (جيل الهزيمة): بعد الأشهر الستة بلغتُ مرحلة اليقين بأني ومركب الوحدة على ضلال!

في عام 1991 وقبيل رحيله بعام، أصدر الطبيب ووزير الصحة المركزي في دولة الوحدة، د. بشير العظمة مذكراته التي نشرتها دار رياض الريّس بعنوان: (جيل الهزيمة: بين الوحدة والانفصال) الزميل رامي زين الدين اختار النصوص التالية من مذكرات العظمة، التي تقدم لنا شهادة شاهد عيان على الوحدة والانفصال.

انقلابات وتقلبات سوريّة

في الفصل السابع من مذكراته، المعنون (انقلابات وتقلبات شخصية وسياسية وعسكرية) يتحدث بشير العظمة عن الأجواء التي سبقت قيام الوحدة بين مصر وسوريا مطولا، ويخلص إلى القول:

بعد الانقلابات المتوالية شاعت في وسائل الإعلام العالمية صورة بشعة عن سوريا، وأنها بلاد عاجزة عن حكم نفسها بنفسها كما أنها لا يمكن أن تقبل بحكم أجنبي، وأن الفراغ السياسي القائم خطير على جيران البلد في الشمال والجنوب والشرق والغرب معاً.

اتفقت كلمة الأحزاب والشارع على المطالبة بالوحدة مع مصر، للخلاص من المؤامرات والانقلابات والتهديد بالاكتساح، وبرزت خلافات حول شكل الوحدة بين القطرين، فأصرّ الحزب الشيوعي وكتلة خالد العظم وهاني السباعي على أن تكون الوحدة متدرجة والحكم ديمقراطي ليبرالي، بينما تطالب الأحزاب الأخرى على اختلاف نزعاتها وتناقضاتها بوحدة اندماجية وفورية، تنهي دفعة واحدة الخطر الشيوعي والصراع الاجتماعي والتهديد التركي العراقي.

ألهب خطاب عبد الناصر في أيلول 1956 عواطف الجماهير العربية المكبوتة من المحيط إلى الخليج. وأثار الحنين إلى أمجاد الماضي البعيد، وآمالاً بانتهاء كابوس النكسات في مسلسل إذلال العرب بعدوان إسرائيل المتكرر.

سادت قناعة كاملة بين مختلف الفئات والجماهير في سوريا أن لا خلاص من حالة عدم الاستقرار وتهديدات الجيران وغارات إسرائيل إلا بالارتماء في أحضان الزعيم العربي العالمي، الذي يحدث الناس عن العزة القومية والعدالة الاجتماعية، ويتحرك على المسرح الدولي نداً بين أقطاب العالم ويثير في كلامه آمال وطموحات ملايين الكادحين في العالم العربي، للخلاص من الظلم التاريخي في ظل الإقطاع والمرابين والحكام المتسلطين.

نجحت الأجهزة الخفية والإعلام في تعبئة تيار واسع وطني لتجعل من الوحدة الفورية الكاملة المخرج الوحيد لخلاص سوريا الحائرة واحتوائها.

كان أعداء الوحدة الحقيقيون متأكدين من أن الوحدة فورة عاطفية لا تتوفر لها أسباب البقاء أو الامتداد لتكون خطيرة على مصالحهم.

كانت انتكاسات مسيرة عبد الناصر وانهيار أحلامه الطموحة نتيجة طبيعية للغرور والفردية وخداع الذات في تقدير حجمه وإمكانياته الواقعية، بعد أن عزلته الأجهزة والجماهير الهازجة الزاحفة وساهمت في ضياعه.

استقبلني الرئيس مساء في داره في مصر الجديدة بابتسامة وبادرني بالسؤال: "ألم نتقابل قبل الآن عند حضوري إلى دمشق؟" قلت: "أبداً فدَرَج السراي متعب وأحاول جاهداً تجنّب صعوده"

كلفني خالد بكداش، وكان متوارياً عن الأنظار، أن أنتهز أية فرصة لأنقل رسالة إلى عبد الناصر، بأن الشيوعيين ليسوا أعداءً للوحدة وأنهم مستعدون لدعمها.

الوحدة والوزارات المركزية 1958-1961

يستهل بشير العظمة الفصل الخاص بالوحدة السورية المصرية: (الوحدة والوزارات المركزية)، بالاعتراف بمشاركته في تزوير الاستفتاء على الدستور وانتخاب جمال عبد الناصر رئيساً للجمهورية العربية المتحدة بنسبة 99,98%، حيث أدلى العظمة بصوته في عدة صناديق، متسائلاً: "كأن القائمين على الاستفتاء عاجزون عن ملئها من دون عناء!"

في مطلع تشرين الأول أكتوبر أي بعد الوحدة بـ 6 أشهر تلقى بشير العظمة دعوة للقاء الرئيس المصري في قصر القبة بالقاهرة، بشأن تشكيل وزارة مركزية. يقول العظمة "يُطلب من أي متقدم لوظيفة ولو في مستوى حارس ليلي أو آذن مدرسة مؤهلات تفيد بأنه صالح للقيام بالمهمة الموكلة إليه، بينما يكفي تقرير المخابرات أو شهادة ضابط في الأجهزة ليتم الترشيح لمنصب وزير.

يضيف "استقبلني الرئيس مساء في داره في مصر الجديدة بابتسامة وإيناس، بادرني السؤال: "ألم نتقابل قبل الآن عند حضوري إلى دمشق؟" قلت: "أبداً فدرج السراي متعب وأحاول جاهداً تجنّب صعوده". لم يفهم لهجتي ولا ما أعنيه من كلمة (درج) وصعوبة الصعود، فصححت وأوضحت: لم أدع لأية حفلة أقيمت لك، ولا أحب المهرجانات والزحام، وإني أعمل في حدود المهنة ولا أتعامل مع سلالم السرايات. ضحك وقال: "ولكنك ستحبّ ما أنت مؤهل له، وقد أثنى عليك من رشحوك لمنصب وزير صحة مركزي". قلت "إني بعيد جداً عن أجواء وممارسات الدواوين والإدارة وأخشى الفشل". قال "لا عليك". وتلا ذلك تمنيات ومجاملات وحديث عن الطقس، وتركت الجلسة بعد عشر دقائق ناجحاً سلفاً بالفحص، وقبل المواجهة الشكلية، ومن خلال تقارير.

سافرت، بعد أيام إلى دمشق، وقمت بجولة ميدانية أحاول التعرف على الأوضاع الصحية. زارني خلال ذلك رفيق الدراسة خالد بكداش (أمين عام الحزب الشيوعي السوري). وكان متوارياً عن الأنظار، بعد أن غاب عن جلسة إعلان الوحدة في البرلمان السوري، وكان عضواً فيه. كلفني أن أنتهز أية فرصة لأنقل رسالة إلى عبد الناصر بأن الشيوعيين ليسوا أعداءً للوحدة وأنهم مستعدون لدعمها. وبأنه يستحيل عليهم من حيث المبدأ إعلان حل الحزب الشيوعي الأممي كما فعلت الأحزاب المحلية الأخرى. زارني بعد عودتي للقاهرة مستشار الرئيس محمود رياض، فأبلغته رسالة بكداش، ورجوته إيصالها للرئيس. غضب ساخطاً، وقال إنهم عملاء متآمرون وخونة، وإياك أن تعيد ما سمعت لأي إنسان!

وأتبع ذلك بسيل من الشتائم فامتثلت.

ضجر الوزير في الوزارة المركزية!

تولى العظمة وزارة الصحة في حكومة الوحدة، لكنه يروي في مذكراته أنه قضى سنتين في منصبه من دون عمل ولا مسؤولية محددة. يقول:

"إذا اشتدّ بي الضيق والضجر، بعد قراءة الصحف اليومية والمجلات الأسبوعية، وبعد إيجاد الحلول للكلمات المتقاطعة، أدفع الباب هائماً، أحاول الانطلاق في حدود القفص الذهبي، فأقصد مكاتب الزملاء الأصدقاء الملاصقة لمكتبي ونتشارك الأحاديث والثرثرة ونقضي فترة بعد الضهر في نادي الجزيرة لممارسة ألعاب التنس والسكواتش والبولينغ وغيرها".

كما يتحدث عن تفاصيل التحاقه بالعمل كوزير، كاشفا جوهر الفروقات بين العقلية السورية والمصرية في الإدارة والحكم:

قصدت مركز عملي الجديد لأبلغه قبل ربع ساعة من الدوام الرسمي، كأي موظف متحمس يريد أن يكون أمثولة للتابعين له. وصلت إلى بوابة المبنى ماشياً على قدمي، وهو لا يبعد عن داري أكثر من 200 متر تقريباً، استوقفني الجندي الحارس، قلت: "وزير الصحة". أجاب: "لا يأتي قبل الحادية عشرة". قلت: "هو أنا". أفسح لي الطريق بإشارة والشك واضح في حركاته وسحنته. سمح الجندي للمخبول أن يدخل دون تحية باليد أو بالسلاح. أفهمني مدير المكتب بعد ذلك بأن التقاليد لا بد وأن تراعى، فالوزير لا يحضر لوزارته قبل الحادية عشرة إذا توفر لديه وقت لذلك. إخفاء وحجب الملوك والوزراء والأمراء عن الأنظار إجراءات لها ضرورتها، لتبقى صورة القادة في خيال الجماهير أقرب إلى صور الآلهة والأئمة، نقية طاهرة.

لم تعرف سوريا في تاريخها الحديث الملكية والحاشية والبلاط والحجّاب. كان شكري القوتلي رئيس الجمهورية عند قيام الوحدة يسكن في شقة مستأجرة عادية جداً في حي الجسر الأبيض وحارسه شرطي يداوم نهاراً فقط. يتعرف الشعب على الحكام من خلال صورهم المصقولة وأحاديثهم المسجلة الكريمة والمهذبة، ومن خلال زيارات مندوبي الصحف.

سألني صحفي عن الفارق بين وزير في الإقليم الجنوبي وآخر في الشمالي أجبت بأني لم أكن وزيراً هناك، ومع ذلك فالفارق كما أراه، بأننا نطلق على الواقف أمام مكتب الوزير في بلدي اسم "الآذن" بينما اسمه "الحاجب" عندكم.

الخلاصة، قضينا شهوراً عديدة بل سنتين تقريباً من دون عمل ولا مسؤولية محددة. كنا نتبادل الزيارات بين المكاتب ونستقبل كل طارق.

تحدث العظمة عن زياراته المفاجئة إلى المستشفيات والمراكز الصحية والتي احتجّ عليها وزير الصحة التنفيذي:

لم تعرف سوريا في تاريخها الحديث الملكية والحاشية والبلاط والحجّاب. كان شكري القوتلي رئيس الجمهورية عند قيام الوحدة يسكن في شقة مستأجرة عادية في الجسر الأبيض وحارسه شرطي يداوم نهاراً فقط.

سألني صحفي عن الفارق بين وزير في الإقليم الجنوبي وآخر في الشمالي فقلت: أننا نطلق على الواقف أمام مكتب الوزير في بلدي اسم "الآذن" بينما اسمه "الحاجب" عندكم.

أردت التعرف على الأبعاد المرئية للمشكلة الصحية، واعتمدت أسلوب المفاجأة من دون إخبار مسبق بالزيارات التي أريد القيام بها، فرأيت مشاهد لا يمكن وصفها أو تصوّر وجودها.

بادرني وزير الصحة التنفيذي باحتجاج على الزيارات المفاجئة، قلت لا بد من ذلك إذا أردنا معرفة الحقائق، ودعوته إلى مرافقتي، فقبل.

زرت مشفى الأمراض السارية في عين شمس، قرب دار الرئيس: قاعات فسيحة، وكل منها تضم 50 سريراً تقريباً من دون حواجز، والمنظر أقرب لقاعة سجن كبيرة، والفوضى كاملة وبعض المرضى يفترشون الثرى. أضابير ضائعة تائهة بين العاملين، تشخيص دون فحوص مخبرية، وأوساخ وروائح.. إلخ. الأدهى من كل ذلك أني في مقابلة يتيمة اجتمعت بها مع الرئيس بعد أشهر، ذكرت له مشاهداتي بغية توصيف الوضع الصحي وضرورة الاهتمام بالجهاز الضخم جداً، والعاطل كاملاً عن العمل والإنتاج، فقاطعني وأنا أسرد ما شاهدت، فقال: "مش صحيح، مش معقول، ما أنا زرت المشفى ورأيته جيداً، والخدمات فيه مقبولة". قلت: "الزيارات المرتبة دائماً خادعة، لقد فرشوا المشفى وتم طلاء القاعات وبدلوا ملابس المرضى والأطباء قبل حضورك وأعيد كل شيء إلى المخازن بعد انتهاء الزيارة". لم يُعلق على ملاحظتي، ولكنه كان متوتراً يستعجل نهاية الجلسة غير المريحة.

المخابرات

بعد مرور شهرين على وجودنا في القاهرة، رافقنا الرئيس في زيارة إلى مدينة "المنيا" في الصعيد. والهدف تعريف الجمهور على وجوه وزرائه من الإقليم الشمالي، وكذلك إشعار الوزراء بوجودهم وأهميتهم.

في سرادق يتسع للألوف من الناس، بدأ مهرجان عكاظ الخطابي تتكرر فيه جمل السين وسوف والآمال الواسعة. يدعو المشير عامر الوزراء السوريين ليكلموا الجماهير المصرية التي لا تفهم إلا اليسير من لهجتنا العامية. وكذلك الفصحى كما أعتقد. ولما صعد الصديق أمين النفوري وكان وزيراً مركزياً للمواصلات، بادرهم بالبشرة الكبيرة بأنه سوف يعمل المستحيل لتعميم المخابرات في كل مدينة وقرية.

نزلت كلماته على المساكين كالقدر الرهيب، وارتفعت أصوات الهمهمة والزئير المكتوم احتجاجاً واستنكاراً للوعد غير الكريم! قفز فوراً المشير عبد الحكيم عامر، يقاطع الخطيب، وأعلن للحاضرين بأنه أخوتهم في الإقليم الشمالي يطلقون تسمية "المخابرات" على الاتصالات السلكية واللاسلكية، بينما "مخابرات"، بمعنى أجهزة التجسس والمداهمة من زوار الصباح، هي تسمية خاصة بالإقليم الجنوبي.

أرسل المشير إلي من يخبرني بأني سأكون الخطيب التالي، فأشرت معتذراً وبإصرار، وقلت إني لن أتحرك من مكاني، وإني لا أتقن إطلاقاً

مذكرات

التحدث للجماهير. تحصّنت بأني "تكنوقراط" فني لا علاقة لي بالسياسة. تجاوزني وبقيت بالنسبة إليهم غامضاً بدون هوية سياسية معروفة. وقد حاولت الأجهزة إياها بعد ذلك أن تُعيد المحاولة. فطلب إلي عدد من الزملاء المصريين ودون مناسبة محددة مرافقتهم في جولات خطابية دورية. كان موقفي الاعتذار والرفض المبدئي، وبقيت علامة الاستفهام طوال وجودي في القاهرة.

بعد أن استقر بنا المقام في المقر الجديد للوزارة في هليوبوليس جمعنا الرئيس وطلب أن يحدد كل وزير بتقرير يلخص فيه تصوره، وتأملاته عن الاشتراكية العربية، حدودها وأهدافها كل في اختصاصه، محاولة اختراع لنظرية اقتصادية سياسية اجتماعية جديدة.

وبعد مرور شهرين من النشاط الفكري الكتابي، رفعت تقريراً لرؤيتي السياسية الصحية المناسبة. وانتظرت مناقشة التقرير في مجلس الوزراء ثم راجعت وزير شؤون الرئاسة (علي صبري)، فقال: "نسيت أن أنقل إليك إعجاب الرئيس وتهانيه بما جاء في تقريرك".

مع استمرار وازدياد الشعور باليأس والملل، اندفعت أنتهز الفرص للقيام بزيارات سياحية في أرجاء القطر المصري، وبدأت أتمتع بأيام لطيفة في بلد غني بآثاره وطبيعته وكرم أهله تجاه أصحاب المراكز والألقاب الرفيعة.

تمجيد السلطة ورموزها في الوجدان المصري

عاد السيد حسين الشافعي الوزير المصري من زيارة للإقليم الشمالي، وبادرني القول: "موظف بالمرتبة الخامسة في بلدي ولا ووزير في بلدك، إنكم لا تقيمون وزناً لأصحاب الشأن وتستخفون بأصحاب المراكز".

قلت جواباً: "اسمع القصة التالية: كنت في إجازة منذ شهر في دمشق، وطلب صديق أن أرافقه في نزهة إلى بيروت. أوقفنا الشرطي على الحدود، يطلب دفع 5 ليرات رسم العبور. قال الرفيق وأشار إلي: إنه وزير الصحة المركزي: اعترضت وقلت إني مواطن مسافر للنزهة وعلينا دفع الرسم القانوني. ذهب الشرطي يستشير رئيسه ويطلب منه الحضور. عاد معتذراً عن حضور رئيسه، وقال: "هل السيد الوزير بمهمة رسمية لإعفائه؟! دفعنا ورفيقي يشتم الأيام وأنا فخور بالمواطن يحترم نفسه ووظيفته".

الجزء الثاني للقصة أننا دعينا لوداع الرئيس سيكوتوري، وانتهينا مع فجر يوم الجمعة. اقترح مدير مكتبي، وكان يقود السيارة، أن نكمل طريقنا لصيد السمك في السويس وهي منطقة عسكرية، لا يدخلها إلا من يحمل تصريحاً من القيادة واتجهنا شرقاً. توقفت السيارة أمام حاجز لشرطة الجيش يطلبون التصريح، ورقم سيارتنا خاصة. فتح مدير المكتب زجاج النافذة، وقال كلمتين: "وزير الصحة"، وأشار إلي. تحية ويرفع الحاجز ونكمل المشوار. قلت: "قد أكون جاسوساً أو مخرباً ولم يتحقق إنسان من هويتي".

الفوارق بين الإقليمين

قد ينجرف قارئي فيقول إن المصريين نوعية خاصة من الشعوب العربية الأخرى. دوافع القائلين بذلك عرقية غير علمية ومرفوضة. سلوك الشعوب والأفراد بالرضوخ والاستكانة، نتيجة تربية وتدجين على الإذلال والقهر التاريخيين.

الأرض في مصر سهل منبسط، غني، يفور بخصوبته وثرائه، والنيل شريان الحياة للساكنين على الضفتين المرويتين بمائه. والمنطقة المزروعة شريط لا يزيد عرضه عن عشرات الكيلومترات من الجانبين من أسوان إلى القاهرة. تلي ذلك رمال صحراوية غير منبتة. الأمطار فيها شحيحة أو غير معروفة تقريباً، بينما يزيد معدلها في الشمال عن المئة ميلمتر سنوياً فقط.

وعليه، فإن من يمسك ويتحكم بتوزيع وتنظيم ري الأرض الزراعية، يتصرف كذلك بأرواح ساكنيها. والحكام منذ الفراعنة أسياد على النهر العظيم، ينظمون عبادته في فيضه ومواسمه.

ورغم التأكيد بأن العوامل الجغرافية المناخية ليست حاسمة في التكوين النفسي الاجتماعي للشعوب بشكل عام، ولكنها مع ذلك عوامل مهمة وفاعلة، واضحة التأثير في ترسيخ المعتقدات وصهر الضمير الجماعي الموحّد.

الإنسان الذي يعيش في السهل المنبسط تاريخياً مختلف عن مجتمعات المناطق الجبلية الوعرة. فالطفل ابن الجبل يهوي إلى الوادي وتتحطم أضلاعه إذا لم يكن قادراً على التشبث بالصخر الذي يتسلقه ويفتح الطريق فيه وينتزع اللقمة من بينته القاسية.

يلاحظ من يزور مصر من الشمال إلى الجنوب وحدة اللباس والعادات والسكن والتقاليد والمزروعات، كما أن الجماعات التي استقرت في مصر انسجمت في المجتمع المتجانس، فليس في مصر أقليات عرقية يتميز بعضها عن بعض وعن الأكثرية بلباسها وتقاليدها وعاداتها وطقوسها. حتى الأقباط المصريون الذين احتفظوا بعقيدتهم قبل الإسلام لا يختلفون عن غيرهم بشيء من كل ذلك.

يقابل ما هو قائم في مصر نقيض له في سوريا، فهي أرض تضاريسها منوعة: سهول وأودية وجبال وأنهار وسواق. معدل الأمطار متباين فيها بين الألف ميلمتر في الساحل وأقل من 100 ميلمتر في البادية.

تكونت التجمعات السكانية في سوريا متناثرة، احتفظ كل منها بتراثه ولغته أحياناً، تقطن في مناطق لا يموت الناس فيها محاصرين إذا اختلفوا مع جيرانه. وكل منطقة جزيرة سكانية يروي أرضها المطر من السماء. ملابس السكان وعاداتهم وطراز بيوتهم ومعتقداتهم، وحتى نوعية طعامهم، محلية، وبعضها غير معروف في مناطق بعيدة.

منذ فترة قريبة، كان يسيراً على الدمشقي أن يشير بإصبعه، يحدد من لباس المارين مناطقهم وقراهم وقبل أن يسمع لهجة كلامهم. هذا من حوران، وآخر من الجزيرة أو من إدلب، وأحياناً هذه من القلمون أو من المزة أو كفرسوسة، ولا تبتعد عن دمشق أكثر من مرمى الحجر. جزر سكانية يرتبط بعضها ببعض، ومع المدينة أو العاصمة بأوهى الأسباب، لا تحتاجها إلا في مناسبات خاصة، وتتجنب الاتصال والانتقال إليها لأنها تخشى الاغتراب والإخضاع والإذلال.

لم تقم في سوريا تاريخياً سلطة مركزية قاهرة متصلة، بينما الدولة في مصر قديمة راسخة في تقاليدها منذ الفراعنة. ومع مرور القرون وتعاقب الأجيال، اتخذت السلطة تراتباً هرمياً واضحاً، تتحمل القاعدة أثقال الطبقات الأعلى، ولا تتوفر الحرية في الاتجاهات الخمسة إلا لمن يتربع مرتاحاً في القمة.

يجري على ألسنة الناس بشكل عام تحديد لسلوك موروث خاص بكل شعب. إنها أقوال غير علمية ولا واقعية. ليست القومية التاريخية تجمعات معزولة مغلقة على نفسها على المدى التاريخي المديد، خاصة بالنسبة للواقع الجغرافي التاريخي للشرق العربي. وعليه ونتيجة لاختلاط الشعوب، بالهجرة والغزوات والاجتياح، يستحيل أن تنقل الأجيال المتعاقبة سلوكاً وطبيعة خاصة بكل منها.

يوصف مثلاً الشعب الإنكليزي بأن الفرد فيه هادئ، مُدبّر، منظم وشجاع، والفرنسي عاطفي، انفعالي، سطحي، العربي مخادع، كثير الكلام، كسول، ومتقلب، والزنجي حاد المزاج، ذليل، وخانع، والتركي شرس، قاس ومتعصب، والروسي فظ، غليظ، وبارد ... إلخ

خرافات وأوهام تجري على الألسنة التي تتداول الصور السهلة الجاهزة. الفرد الإنساني والحيواني عامة فريد بخصائصه البيولوجية وتربيته وبيئته، وكذلك فريد في طباعه وسلوكه.

أجريت دراسة علمية لطباع البشر السلوكية، وظهر أن اختلافات النماذج المدروسة في شعب واحد عديدة جداً، ولا فوارق عددية بين مختلف الفئات السلوكية بين شعب وآخر.

أعني من ذلك أن بين الإنكليز عدداً من العصبيين الانفعاليين مماثلاً أو أكثر أحياناً مما لدى الفرنسيين منهم، فالإنسان وليد بيئته وتاريخه الفردي والجماعي، ويختلف الأشقاء والإخوة والتوائم أيضاً رغم وحدة العوامل الوراثية، ونتيجة لمؤثرات البيئة والتاريخ الفردي. وقد يكون الاختلاف تناقضياً.

كذلك يؤكد بعضهم من دون أية حجة أو إحصاء ودراسة بأن سكان المنطقة أو البلد المعين أغبياء أو بخلاء أو أنجاس محتالون.. إلخ. كل ذلك هراء لا معنى له في الواقع.

لا يرى الأفراد والمجتمعات إلا ما يرضي الغرور ولو بالتطاول على الآخرين، والإنجازات الحضارية التاريخية المصرية مبعث فخار حقيقي، وللجميع شواهدها شامخة ومذهلة لمن يزور المتاحف والمعابد في الأقصر وأسوان، وعلى مدى قرون مديدة جداً. والحضارة ليست غزواً وفتوحات، ومع ذلك فقد أخضع محمد علي الكبير بجيش مصري الجزيرة العربية وسوريا. ثم إن هزيمة الجيوش العربية الثلاثة عام 1967، وهزائم كل جيش على حدة، في مسلسل العدوان الإسرائيلي المتصل، برهان قائم على خطل آراء العنصريين، فالفرد اليهودي معروف في التاريخ، ومشهور لدى الرأي العام العالمي بأنه إنسان جبان ذليل ومحتال.

السوري والأردني والعراقي أو البدوي لا يتميز. وليس أفضل عرقياً من الأشقاء المصريين، وكلنا في هموم الشرق والتخلف سواء.

التذمر

بعد أشهر من الإقامة في القاهرة، نتيجة الإهمال والبطالة بين الوزراء المركزيين، بدأ الهمس ثم التذمر والتساؤل بيننا: ماذا يراد منا ويراد لنا؟ زارني رياض المالكي وزير الثقافة والإرشاد في سوريا وسألني:

مع استمرار وازدياد الشعور باليأس والملل، اندفعت أنتهز الفرص للقيام بزيارات سياحية في أرجاء القطر المصري وبدأت أتمتع بأيام لطيفة في بلد غني بآثاره وطبيعته وكرم أهله تجاه أصحاب المراكز والألقاب الرفيعة

لم تقم في سوريا تاريخياً سلطة مركزية قاهرة متصلة، بينما الدولة في مصر قديمة راسخة في تقاليدها منذ الفراعنة. ومع مرور القرون وتعاقب الأجيال، اتخذت السلطة تراتباً هرمياً واضحاً، تتحمل القاعدة أثقال الطبقات الأعلى، ولا تتوفر الحرية إلا لمن يتربع مرتاحاً في القمة.

بعد أشهر من الإقامة في القاهرة، نتيجة الإهمال والبطالة بين الوزراء المركزيين، بدأ الهمس ثم التذمر والتساؤل بيننا: ماذا يراد منا ويراد لنا؟

تهريب الأموال إلى لبنان والسلع إلى مصر

كانت الأجواء العامة في سوريا مشحونة بالتوتر ومشاعر الخيبة، فقد بدأت عمليات تهريب الأموال إلى مصارف لبنان مع الوحدة، واشتدت بعد ذلك، والنقد السوري في هبوط متدرج بالنسبة للعملة اللبنانية والقطع الأجنبي، ازدادت بشكل رهيب عمليات النهب المنظم للبضائع المشتراة بالعملة الصعبة تستوردها سوريا أصولا أو معرّبة من لبنان، يصدرها إلى مصر ألوف الموفدين للعمل كخبراء ومعلمين وضباط في الإقليم السوري أو يحملها تجار "الشنطة" توفدهم شركات قائمة في الإسكندرية، تشتري لهم بطاقة ركوب باخرة (الثلاثاء)، وتعطيهم مصروفهم في النزهة لمدة 3 أيام، يملؤون الشنط بكل ثمين وغير متوفر في أسواق مصر من البضائع الأجنبية للرفاه والتباهي. وهكذا استمرت سوريا تدفع بالعملة الصعبة ثمن برادات وأدوات كهربائية وأقمشة أجنبية وما إليها، لمصلحة المترفين ومصلحة التجار في البلدين. كانت تُهرّب السلع إلى مصر بالطائرات العسكرية، تباع بأرباح فاحشة أو تستخدم بتزيين الدار والزوجات والأصدقاء.

صدرت تشريعات التأميم للشركات الصناعية الكبرى. عارض التأميم أصحاب الفعاليات الاقتصادية على اختلاف مستوياتهم من أصحاب المعامل إلى الدكاكين الصغيرة، وانضم الجميع إلى مالكي الأرض الذين تناولهم الإصلاح الزراعي والذي لم يطبق خلال الوحدة إلا في أضيق الحدود. كان في سوريا إقطاع سوري وطني بينما أصول الطبقة الإقطاعية وأصحاب الشركات التجارية الكبيرة في مصر تركية يونانية أو لبنانية سورية. وقد اشتدت الأوضاع سوءاً نتيجة الجفاف الذي أصاب البلاد خلال أعوام من عمر الوحدة، فلم يهطل مثلاً في دمشق عام 1959 سوى 75 مليمتراً بينما متوسط الهطول يبلغ عادة 250 مليمتراً سنوياً. ص (210- 211)

كيف صحة الوحدة؟ قلت صراحة بأن الرفاق الوزراء السياسيين يتذمرون، يحاولون معرفة ما وراء إبعادهم رهائن في القاهرة، والوحدة كما نراها عملية ضم واحتضان للإقليم الشمالي.

يذكر المالكي في كتابه "على درب الكفاح والهزيمة" بأنه عند تكليفه بالوزارة أوضح له عبد الناصر ما يلي: الإعلام والدعاية أهم من القوات المسلحة لأن الحرب الدائرة بين العرب واليهود هي حرب نفسية دعائية، تلعب فيها أجهزة الإعلام الدور الأكبر. أما بالنسبة للقوات المسلحة فلا دور كبير لها في مثل هذا الظرف الذي تمر فيه القضية العربية.

يعلق العظمة على حديث عبد الناصر "الكلام عن الدعاية والسلاح أصدق كشفاً عن خلفية الفكر في أعلى مركز قيادي. بالصراخ والتهويش سوف ترتعد إسرائيل وتستسلم.

تكررت زيارات عبد الناصر لسوريا، وكان يستقبل في كل مرة بحماسة منقطعة النظير. اجتمع رؤساء تحرير الصحف الحكومية في القاهرة بالرئيس عبد الناصر، وأشاروا إلى التذمر السائد في سوريا. دعاهم لمرافقته لحضور احتفالات بدء السنة الثالثة لإقامة الوحدة في دمشق، وكانت آخر زيارة له للإقليم الشمالي. استقبل بحشود وترحاب. فالتفت عبد الناصر إلى رجال الصحافة بعد خطابه ليقول لهم: "هؤلاء الناس كما ترون لن ينفصلوا عنا أبداً!".

بعد أشهر من الوحدة بدأت أشك وتدرجت أتساءل ثم أتهم. ماذا نفعل وماذا يراد لنا؟ إذا كان بعض الزملاء من الوزراء رهائن فإنهم كذلك لرفعة شأنهم بحكم زعامتهم العسكرية أو الحزبية، وما جريرتي بينهم وقد كنت أعمل بنشاط في التدريس والعيادة الخاصة والجمعية الخيرية معاً؟! تبخرت سريعاً نشوة الشرف العظيم بأن أكون وزيراً عند عبد الناصر، أجيراً عند متعهد إعادة بناء أمجاد العرب. وقد اشتد ضيقي وشعوري بتفاهة المنصب الذي أتولاه من دون صلاحيات ولا إمكانيات، خاصة بعد رحلاتي الاستطلاعية في سوريا ومصر، واطلاعي على الواقع الصحي ميدانياً على حقيقته، فقد تداعت آمالي بل أحلامي ببدء ثورة صحية طبية تدعم الثورة القومية الاجتماعية والاقتصادية.

وجدت نفسي بعد شهرين فقط بيدقاً في رقعة يحرك حجارتها جهاز تشريفات القصر الجمهوري، للتواجد في الاستقبال والوداع، نسمع ونبتسم ونصفق، ثم ننصرف بانتظار المناسبة القريبة القادمة. وبعد الأشهر الستة، بلغت مرحلة اليقين بأني والمركب على ضلال.

الجلسة اليتيمة

بعد عدة شهور من رفع تقريري عن السياسة الصحية، اشتدّ بي الضيق من البطالة والتفاهة. طلبت مقابلة الرئيس عن طريق وزير الرئاسة، وبعد مضي 4 أشهر كاملة تكرم الرئيس وحدد موعداً لاستقبالي في استراحة القناطر الخيرية.

ترحيب متحفظ وابتسامة استخفاف متسائل. قلت "منذ 6 أشهر، قدمت تقريري بتكليف منكم عن السياسة الصحية، ولا أزال أنتظر مناقشته". قال مقاطعاً: "أي تقرير تشير إليه؟". قلت: "لقد نقل إليّ السيد علي صبري تحنثة عن لسانك، وأنك معجب بمحتويات التقرير". قال منفعلاً "يصلني كل يوم حمولة لوري (سيارة شاحنة) من التقارير. هل تريدني أن أقرأها جميعاً وأستوعب محتوياتها؟". شعرت بالغضب الحاد خاصة وأن اللهجة وتعابير الوجه استفزازية وغير محذبة. قلت "إما أنك نسيت أو أن السيد علي صبري يتكلم بلسانك دون علمك"

. قال: "ما لنا والتقارير. عايز إيه؟". وأردف وبالحرف الواحد: "هل تريد سيارة أو ينقصك شيء؟". ابتسمت مشفقاً للمساومة التي اعتاد الرؤساء يراجعهم الأتباع للمزيد من المكاسب الشخصية. قلت "لدي سيارة خاصة منذ عام 1937 وقد تجاوزت المراهقة والشباب وأنا في الخمسين من العمر". ابتسم عندئذ ملاطفاً وقال: "عسى أن تكون مرتاحاً والعائلة، والقاهرة مدينة جميلة وزاخرة بالمعالم والمتاحف". قلت "إن أموري الخاصة ممتازة، لكني لن أبقى إذا لم أعمل وأشعر بأني موثوق وأن في بقائي خدمة حقيقية". قال "ماذا تقصد من قولك لن أبقى؟". قلت: "أعني بأني سأعود من حيث أتيت لعيادتي في دمشق"

أطرق متجهماً، وسردت عليه مشاهداتي في زيارات الصحية وهو يردد: "غير معقول.. غير ممكن. لقد شاهدت بنفسي خلاف ذلك". قلت: "يخدعونك وينظمون الزيارات".

عاد يكمل حديث الطرشان مرة ثانية: "ماذا ينقصك وماذا تريد؟ أعدت القول: "أريد أن أنجز.. أريد أن أعمل". وانتهت المقابلة بابتسامات وتربيت على الكتف، وانتهيت إلى يقين بأن النهاية غير بعيدة". (ص 213)

تبخرت سريعاً نشوة الشرف العظيم بأن أكون وزيراً عند عبد الناصر، أجيراً عند متعهد إعادة بناء أمجاد العرب. وقد اشتد ضيقي وشعوري بتفاهة المنصب الذي أتولاه من دون صلاحيات ولا إمكانيات

خلال دراسة الميزانية أثار انتباهي الفارق الكبير في النسبة المقتطعة من ميزانية الإقليم الشمالي (53%)، وما يؤخذ من ميزانية الإقليم الجنوبي (17% فقط) لقوى الأمن ولتسليح وتدريب جيش الجمهورية الواحد!

تم الانفصال بيسر وسهولة مذهلة، وفي جميع قطاعات الجيش ومراكز القيادة مستشارون ومدربون وخبراء مصريون. تساءل الجميع: كيف نجحت الحركة الهزيلة وتمت جراحة الفصل بين الإقليمين.

إشكالية الميزانية

بعد سنة تقريباً من وجودي في القاهرة، وُجّهت الدعوة لاجتماع وزراء الإقليمين لدراسة ميزانية الجمهورية، والميزانية صورة تطبيقية للسياسة. عكفت خلال أيام أدقق بأرقامها. أثار انتباهي الفارق الكبير في النسبة المقتطعة من ميزانية الإقليم الشمالي (53%)، وما يؤخذ من ميزانية الإقليم الجنوبي (17% فقط) لقوى الأمن ولتسليح وتدريب جيش الجمهورية الواحد.

بدأت الكلام في مجلس الوزراء الموسع أشرح وجهة نظري فتكهربت الأجواء. وهاج المشير عامر يقاطعني مع عدد من الوزراء المصريين. أسكتهم الرئيس وقال: "اتركوا الوزير الفني يكمل كلامه". أجاب بعد أن أنهيت: "كانت نسبة إنفاقكم على الجيش وقوى الأمن الداخلي في حدود النسبة التي أشرت إليها، وكذلك كانت نسبة إنفاقنا على القوات المسلحة كما ذكرت واحتفظنا بالأمور كما كانت".

قلت: "جيش واحد ودفاع واحد منطلق الوحدة ودعامة تطورها، ولا بد من أن نتقاسم سواسية وبنسبة واحدة أعباء الدفاع عن الجمهورية الواحدة". وأكملت ما بدأته من الدوافع الحقيقية وراء الرغبة الجامحة لسوريا في الوحدة إنهاء الانقلابات وتسلّط الأجهزة، وتوزيع وتخفيف أعباء الدفاع، والوحدة إذا لم تترجم عملياً بجيش واحد وحدود ودفاع موحد، فإنها عندئذ شعارات لا معنى لها!". صخب متجدد ومحاولات لمقاطعتي والتخفيف من حدة وقع كلماتي، أعاد الرئيس القول إن لا مجال إطلاقاً لتبديل نسب الإنفاق، ويبقى ما كان كما كان.

فترة الانفصال أيلول 1961- آذار 1963

في الفصل التاسع من مذكراته المعنوان (فترة الانفصال) يرصد بشير العظمة في مذكراته، مشهد الانفصال الذي وقع على النحو التالي: استمرت الوحدة 42 شهراً، وانتهت كما بدأت في سوريا بحركة عسكرية، قام بها نفر من ضباط قصر الحاكم أيضاً.

سمعت بعد منتصف ليل 28 أيلول 1961 رشقات أسلحة خفيفة وانفجارات أقرب ما تكون لحفلة ألعاب نارية. ومع طلوع الشمس صدر البلاغ رقم واحد. وفوجئت في ضحى اليوم الثاني للانقلاب الحائر بزيارة ضابطين مع زملاء وأصدقاء، يطلبون مني الاشتراك في الوزارة الجديدة. فرفضت معتذراً.

وتفجرت منذ اليوم الأول حرب إذاعية بين دمشق والقاهرة، تتبادلان قذائف من الشتائم والاتهامات، وتحركت في الشارع الدمشقي مسيرات هزيلة تتبدل هتافاتها ويافطاتها تبعاً لتوجهات أرقام بلاغات القيادة الحائرة.

تم الانفصال بيسر وسهولة مذهلة، وفي جميع قطاعات الجيش ومراكز القيادة مستشارون ومدربون وخبراء مصريون. تساءل الجميع: كيف نجحت الحركة الهزيلة وتمت جراحة الفصل بين الإقليمين. كيف خضعت فرق الجيش البعيدة عن العاصمة، لمجرد إذاعة البلاغ رقم واحد. فلم تقاوم أو تتردد، وقادتها ضباط ناصريون معروفون.

تحركت مع الانقلاب العسكري القيادات السياسة، وتداعت لاجتماع عُقد في دار أحمد الشرباتي، وصدر بيان عن المؤتمرين الذين يمثلون جميع الاتجاهات السياسية، إلى جانب عدد كبير من كبار التجار والصناعيين.

في البيان الذي صدر عن المجتمعين مناشدة للدول العربية والأجنبية تأييد خطوة الجيش الجبارة، وأن ينظر الجميع بجدية وتعاطف مع رغبة وإصرار النظام الجديد الذي يريد إقامة ديمقراطية حقيقية في ظل القوات المسلحة. وكنت من بين الموقعين على البيان ودعم البيان بعد ذلك كلا من شكري القوتلي وفارس الخوري وسلطان الأطرش.

كما دعم الملك حسين وعبد الكريم قاسم حركة الانفصال وحاولا الدفاع عن الضباط الشوام. أزعج البيان مزاج عبد الناصر، واعتبره طعنة غادرة من الذين ارتموا في أحضانه قبل اثنين وأربعين شهراً. وبادر إلى الاعتراف بالكيان السوري المستقل، وقال إنه حريص على أن تبقى سوريا عربية، وليس هاماً أن تبقى إقليماً شمالياً.

كلام قومي سليم، ولكن ما جرى في الخفاء والواقع نقيض ذلك، فقد شدّدت الصحافة والإذاعة والتلفزيون حملاتها، تثير الأحقاد بين الضباط الشوام وزملائهم في السلاح، مع اتهامات بالخيانة والعمالة والرشوة. واستمر السلطان المطعون في كبريائه لا يرتوي ولا تنطفئ أحقاده على الذين تطاولوا على المقام ولو أدى التحريض والتفتيت إلى قيام حرب أهلية.

لم تحقق الوحدة الآمال والأحلام للذين تحمسوا لها، وكما اتفقت كلمة جميع الذين اندفعوا لقيام الوحدة، اتفقت مرة أخرى على ضرورة إنهائها.

يشارك كون الشعب فرحته بثورة ١٢٨ ايلول المباركة

الشركة الوطنية لصنع الشمينتو ومواد البناء المساهمة	شركة السكر والمنتجات الزراعية المساهمة دمشق ـ شارع مسلم البارودي	شركة المنازل والمناسج المساهمة دمشق ـ لابون	الشركة السورية لاستخراج السكر وتكريره دمشق ـ عدرا
شركة نفط العراق المحدودة دمشق ـ شارع مسلم البارودي	شركة خليل فتال واولاده دمشق ـ حلب	شركة موارد الشرق الادبي دمشق شارع خالد بن الوليد	سعيد بوبس وشركاه دمشق ـ بزورية
شركة الكونسروة والمنتوجات الزراعية دمشق ـ شارع بغداد الهاتف : ١٠٢٨٢	شركة الآليات والكهربا والادوات الزراعية فرسيلس بلز دمشق ـ سورية	شركة المصارف المتحدة دمشق ـ حريقة الهاتف ـ ١٩٧٦٠	نادي الشرق دمشق هاتف ١٣٣٩٩ ـ ١٢٣٨٦
شركة ابو عقل وشركاه اخوان دمشق شارع ابي فضل المرادي	الشركة العربية المتحدة للصناعة «دبس» دمشق ـ سورية	محلات ميخائيل صحناوي واولاده دمشق ـ سورية	ادارة سينما العباسية دمشق

نادي الشرق
ملتقى الطبقات الراقية ....
يطعم :
شرقي غربي
اوركسترا
أستعداد كامل للحفلات
دمشق ـ تليفون : ١٢٣٨٦

إعلانك في العربي القديم طريقك الأمثل للوصول إلى الجمهور السوري والعربي في أقطار المشرق
العربي القديم تَعبر بك نحو أجيال جديدة لم تعِش زمنك وتدخلك في ذاكرة التاريخ

في سينما الفيحاء
اعتبارا من الاحد ٤ تشرين ثاني ١٩٦٣

شركة معامل سامي صائم الدهر وشركاه
للغزل والنسيج
المساهمة المقفلة ـ مركزها حلب ـ السبيل
تأسست عام ١٩٥٧
منتوجاتها :
صناعة الغزل والنسيج والطبع والتحضير على اختلاف انواعه
« القطني والفيبران والنايلون والتركال »
تقدم للشعب العربي السوري الكريم وجيشه المفدى اطيب التهاني بذكرى يوم الجيش

«التلميذه» اروع افلام الموسم يمدد اسبوعا ثانيا واخيرا بسينما الشرق
بطولة شادية
حسن يوسف

فترة الانفصال: ما قبل، ما بعد

فواز حداد

يمكن تلخيص ما جرى، أن العسكر الذي صنعوا هذه الوحدة، هم أنفسهم العسكر الذين صنعوا الانفصال!

في فجر يوم 28 أيلول، قامت بعض قطعات الجيش بحركة انقلابية، بقيادة مجموعة من الضباط. احتلت الدبابات المراكز الرئيسة في العاصمة دمشق، وأصدرت البلاغ رقم 1 بمنع التجول والتزام السكينة والهدوء، وسجل بذلك العسكر، انتهاء دولة الوحدة بين مصر وسوريا، بعد مرور ثلاث سنوات وسبعة أشهر على قيامها.

لا يمكن الحديث عن الانفصال دونما التعرض إلى الظروف التي أدت إليه. كانت الوحدة حلماً عربياً، هفت إليه الشعوب العربية، حلم كان من فرط جموحه، أنه لم يأخذ بالاعتبار خصائص وظروف اجتماعية واقتصادية وسياسية لابد من عمل حساب لها. فالحدود بين الدول وإن كانت مصطنعة، خلقت مع تراكم السنين مستجدات واقعية من الصعب إنكارها أو تجاوزها، أو التقليل من شأنها. حلم لم يستطع صانعوه دفع تكاليف تحقيقه أو استمراريته، ولا الدفاع عنه، أو تحويله إلى واقع صلب. لهذا بقي مجرد حلم تحقق شكلياً بالاستفتاء والقوانين والمراسيم، واكتمل على السطح بالحماس والخطابات والتصريحات والمظاهرات والاحتفالات.

في الحقيقة، كان أكبر دافع للوحدة، عدا الأوضاع السياسية المضطربة، وتهديدات إسرائيل، الأحلاف الغربية، شعبية عبد الناصر التي اكتسحت العالم العربي خلال العدوان الثلاثي على مصر، لا سيما سورية. وللذكرى، مع إعلان الوحدة، خرجت الجماهير في دمشق والمدن والمحافظات إلى الشوارع أشبه ببركان هائج يمكن أن يجرف من يقف في وجهه. فالوحدة لم تعد شعاراً، باتت حقيقة من المستحيل أن تقف أية جهة أمامها، لا الأحزاب ولا القيادات السياسية ولا دول المنطقة والغرب. كان تلك اللحظات العارمة بالحماسة صناعة طوفان مشاعر الجماهير. كل هذا ولم يشكل حماية للوحدة صباح 28 أيلول. هذا المشهد كان حقيقياً، لا يصح الاستهانة به. أما ما قيل طوال عقود في تبرير انفصال الجمهورية العربية المتحدة، لو كان صحيحاً، لسعى صانعو الوحدة إلى التغلب على هذه المعوقات الجدية، وهي عبارة عن إشكالات اقتصادية يمكن بجهد مخلص إيجاد حلول لها على المدى الطويل، فنحن لسنا أول من يصنع وحدة، مهما كان نوعها في هذا العالم، فقد سبقنا غيرنا.

اليوم في حال نظرنا إلى العمق بعد مضي نحو ثلاثة أرباع القرن على إخفاقها، يمكن القول عن مبتكري هذه الوحدة الاندماجية، الذين حققوا نصراً وطنياً كاملاً، أن هذا الحلم السعيد، حتى لو تضاءل إلى مجرد قيام تضامن عربي، بات بعيد المنال أيضاً. وما ينبغي إدراكه هو أن الانفصال، هو الذي أسس للدول القطرية شرعيتها واستقلاليتها النهائية، ولم يعد التفكير في الوحدة إلا نوعاً متخلفاً عن اللغو.

يمكن تلخيص ما جرى، أن العسكر الذي صنعوا هذه الوحدة، هم أنفسهم العسكر الذين صنعوا الانفصال. لم يكن الضباط وحدهم كان وراءهم سياسيون مثل أكرم الحوراني وميشيل عفلق، وطبعاً أحزابهم، عملوا عليها وباركوها وكانوا في صفوفها، لكنهم لم يستطيعوا التنازل عن طموحاتهم الشخصية في الحكم والسلطة، فالأحزاب وعلى رأسها حزب البعث طمح لدولة الوحدة على أن يتقاسم السلطة مع عبد الناصر.

ولم تقبل الأطراف السورية العديدة أن تكون ضحايا لوحدة، لا تدوم إلا باستبعادهم. فحكم عليها الواقع السياسي السوري أن تكون وحدة مؤقتة، لم تكن إلا لحلحة بعض الصراعات المحتدمة في الداخل، فالسياسيون المصنفون بالتقدميين رغبوا فيها لإنهاء سلسلة من الانقلابات وتدخلات العسكر. أما السياسيون التقليديون فلخوفهم من انخفاض المناعة السورية إزاء التغلغل البعثي والمد الشيوعي، فيما تسابق الضباط إليها هرباً من نزاعاتهم مع بعضهم بعضاً. عموماً كانت تحصينا من الأخطار الخارجية التي أخذت تهدد سورية.

لن ندرك أسباب انهيارها، إلا بالأخذ بعين الاعتبار ما شابها من تسرع أدى إلى ما كان فوق طاقة البلدين. آنئذ، لم يستطع رئيس الجمهورية السورية شكري القوتلي أن يفعل شيئاً، كان الضباط قد وضعوه أمام الأمر الواقع بذهابهم إلى القاهرة حاملين معهم مذكرة طالبوا فيها عبد الناصر بالوحدة، مع أن شكري القوتلي كان من أوائل المنادين بها، وكانت على الدوام نصب عينيه، حتى أنه قال يوم رُفع العلم السوري على دار الحكومة في دمشق 17 نيسان 1946: "لن يُرفع فوق هذا العلم إلا علم الوحدة العربية". لم يطل الوقت، عندما أدرك السياسيون الوطنيون أمثال شكري القوتلي وناظم القدسي وخالد العظم ومعروف الدواليبي ومأمون الكزبري، عبث إعادة العسكر إلى الثكنات، لم يكن انقلاب الانفصال، سوى أن الحكومات كانت تتوالى مقيدة تحت ظل دولة وقعت تحت قبضة العسكر تماماً، وسوف تسيطر نزاعاتهم على كواليس السياسة، استعداداً للاستئثار بالحكم، بعد تصفية خلافاتهم التي لن تنتهي، وإن استقر الرأي على تحرك عسكري يقوده البعثيون والناصريون.

كان انقلاباً مَحضاً دُعي بـ"ثورة 8 آذار" لم يخطر لأعتى السياسيين أن سقوط الانفصال، وقدوم العسكر إلا أنها مرحلة لن تدوم، لكنها استمرت وأدخلت البلاد في دوامة سجلت نهاية الحكم المدني، والاتجاه نحو قيام دكتاتورية لا نظير لها، تحت شعارات الوحدة والحرية والاشتراكية، وسوف تحصد على وقع شعارات الصمود والتصدي والمقاومة والممانعة سلسلة من الهزائم، تُعلن على أنها انتصارات. وتزج بالبلاد في مستنقع من السلطة المطلقة تقوم على المخابرات والسجون والرعب والفساد، ما مهد للتوريث.

بذلك أصبحت سورية دكتاتورية ملكية لعائلة بلغت ذروة جرائمها الوحشية، بتدمير البلد وتهجير نصف شعبها، ومقتل ما لا يقل عن مليون إنسان.

وحدة في غفلة

بقلم: رامي زين الدين

قاد اندفاع وطيش العسكريين إلى تأسيس جمهورية واهنة وهشة، ما يُفسر ربما التأييد والترحيب الذي لقيه الانقلاب على الوحدة

في سبتمبر الحالي يكون قد انقضى 62 عاماً على انقلاب 1961 الذي أنهى حكم الجمهورية العربية المتحدة، التي لا تزال في وجدان الكثيرين أهم تجربة عربية في التاريخ الحديث، لأنها منحت الملايين أملاً بإنهاء التفتت، وإعادة أمجاد الماضي، ونهاية كابوس الهزائم. إلا أن تلك الوحدة التي استمرت 3 سنوات و 7 أشهر فقط، لم تستطع إيقاف مسلسل الهزائم، بل في الواقع هي ذاتها جاءت نتيجة هزيمة الوعي السياسي العربي في ذلك الوقت.

لعلّ الطحشة الثورية هي أصدق تعبير لوصف ظروف قيام الوحدة بين سوريا ومصر. مجموعة ضباط في بلد ديمقرطي لديه رئيس منتخب وحكومة وبرلمان وأحزاب وصحافة حرة، قرروا في لحظة حماس وغفلة من السلطة السياسية استجداء الوحدة مع بلد آخر.

بحسب شهادات شخصيات بارزة في تلك المرحلة، حتى عبد الناصر نفسه لم يهضم تلك "الطحشة"، التي قام بها الضباط السوريون دون علم قيادتهم السياسية، لكن من الواضح أن الزعيم المصري استغل ذلك للحصول على تنازلات كبيرة.

وبالفعل نُفذت شروطه كاملة، بما فيها حل الأحزاب وتقييد الحريات السياسية، وكان من نتيجة الوحدة أن تحولت سوريا، بعد أن كانت تعيش في مناخ من الحرية والتعددية الحزبية، إلى دولة شمولية وبوليسية.

لم يكن فشل تلك الوحدة، مفاجئاً أو مستغرباً للعارفين وذوي البصيرة، ذلك أنها لم تقم في الأصل على أسس صحيحة، ولا حتى كانت ضرورية في طابعها الاندماجي والمتسرع.

الخلاصة، قاد اندفاع وطيش العسكريين إلى تأسيس جمهورية واهنة وهشة، ما يُفسر ربما التأييد والترحيب الذي لقيه الانقلاب على الوحدة من قيادات كانت من أشد المتحمسين لها.

لم يبقَ من إرث الوحدة السورية المصرية سوى ذكرى هزيمة أخرى في سلسلة الهزائم والإخفاقات العربية، تضاف إلى أرشيف القصائد والأغاني والأهازيج التي احتفت بها، وربما من غير المستغرب أن إحياء ذكرى الوحدة لا يزال مناسبة سنوية تحتفل بها سوريا وعدد من الأحزاب القومية العربية حتى يومنا هذا.

في مقدمة كتابه "العرب ظاهرة صوتية" الذي نشر لأول مرة في باريس عام 1977 عن مطبعة "مونتمارير"، قبل أن يُعاد نشره في 2006 بواسطة "منشورات الجمل"، يقول المفكر السعودي الراحل عبد الله القصيمي: "إن العربي ليرفض الصعود إلى الشمس ممتلكاً لها إن كان ذلك بصمت، ليختار التحدث بصراحة ومباهاة عن صعوده إلى القمر وامتلاكه له، بلا صعود ولا امتلاك".

جمال عبد الناصر أثناء زيارته للسويداء في شباط/فبراير 1960

حين كانت الديمقراطية "تُطعم لحماً" أيام الانفصال

محيي الدين اللاذقاني

إن يوم
الثامن والعشرين
من أيلول/ سبتمبر لم يكن تراجيدياً
كما صوره العروبيون فلم يكن فيه دم ولا قصف
ونسف، بل كان يصلح أن يكون مسرحية كوميدية،
فكل الأطراف بما فيها جمال عبد الناصر وقادة الانقلاب
غيّرت مواقفها بين الساعة الرابعة صباحا
والخامسة مساء
عدة مرات

كنت طفلا بالكاد يميز الالف عن العصا حين اكتشفت دون أن امتلك مواهب كولومبوس ان الديمقراطية تُطعم لحما أيام الانفصال عن مصر وإلقاء تحية الوداع على الجمهورية العربية المتحدة.

وأظن أن ذلك الاكتشاف كان أثناء الانتخابات الوحيدة التي أجريت أيام حكومة مأمون الكزبري، التي ضمت معظم الوجوه القديمة من الحزب الوطني، وما زلت أضحك في سري إلى اليوم كلما رأيت، وسمعت النخب السورية المثقفة تثني على الديمقراطية السورية، وحرية الصحافة قبل الوحدة وأثناء الانفصال.

في تلك الانتخابات وصلت الصناديق إلى قريتنا، ونادى المنادي أن هبوا لتصوتوا من أجل وطن ديمقراطي. لكن سبقت ذلك المنادي إشاعات تقول إن سعر الصوت تم تحديده بخمس ليرات سورية، وهذا مبلغ كبير في ذلك الزمان يكفي لشراء ثلاثة كيلوات لحم غنم، أو كيلو ودجاجتين وسبع بيضات.

ويومها دفعنا أبي دفعاً ليذهب ويصوت، ويستلم المقسوم، فذهب واصطحبني معه، وهناك "أمام دكان أبو رستم" شاهدت بعيني طاولتين على كل منهما حزم نقدية ووكيل لكل مرشح يدفع المال، ويأخذ تفويضا بأن فلاناً قرر بإرادته الحرة أن يصوّت لفلان، وغالبا كان المرشحان في ذلك الوقت من أسرة برمدا، أو عائلة الكيخيا، وهما الأسرتان اللتان تسيطران على معظم إقطاعيات المنطقة قبل قانون الإصلاح الزراعي.

ولا أعرف لمن ذهب صوت أبي في ذلك اليوم المجيد من تاريخ الديمقراطية السورية، لكني أذكر تماما رائحة الشواء التي عطرت الكون في تلك الأمسية، وجعلتني أسجل في ذاكرتي الطفولية الدرس الأول في حب تلك الديمقراطية التي تُطعم لحما شهيا.

وبعد أن كبرنا وقرأنا عن تلك المرحلة اكتشفنا أن يوم الثامن والعشرين من أيلول سبتمبر لم يكن تراجيدياً كما صوّره العروبيون، فلم يكن فيه دم، ولا قصف ونسف بل كان يصلح أن يكون مسرحية كوميدية، فكل الأطراف بما فيها جمال عبد الناصر وقادة الانقلاب غيرت مواقفها بين الساعة الرابعة صباحا، والخامسة مساء عدة مرات ومن بين اثني عشر بيانا للانقلابيين أهمها البيان التاسع يمكن أن نقرأ تصاعدا دراميا قلقا يعلو، وينخفض تبعا لرغبة المتفاوضين على مستقبلنا الزاهي.

لقد أوشك الانفصاليون بما فيهم النحلاوي والكزبري قائد فرق الهجانة، أن يتراجعوا عن الانفصال حين استجاب عبد الناصر لبعض مطالبهم، بل إن إذاعة دمشق نفسها التي كانت بيد الضباط الانفصاليين خلعت ثوبها الانفصالي منتصف النهار، وعادت لتبث على أنها إذاعة دمشق من الجمهورية العربية المتحدة.

وما إن حلّ المساء حتى اكتشف الانفصاليون من جديد في بيانهم التاسع أن عبد الناصر ديكتاتور، وطاغية وإنهم ماضون في مسيرة استعادة الديمقراطية السورية، وهكذا شحنوا المشير عبد الحكيم عامر مع ثلة من الضباط المصريين إلى القاهرة، وتفرغوا للتعامل مع منتي مظلي مصري هبطوا في اللاذقية لكنهم لم يستطيعوا وقف الانفصال، فقرر عبد الناصر لأسباب عاطفية وسياسية مفهومة أن يحتفظ بالاسم، وبالفعل ظل اسم الجمهورية العربية المتحدة قائما حتى ألغاه السادات بعد عام من وفاة عبد الناصر.

ومهما كانت ذكرياتنا عن الانفصال وأيامه، فإن الحقيقة الباقية في قلوبنا وضمائرنا هي أن السوريين يحبون مصر، وأن المصريين بالفعل يحبوننا، لكن العواطف وحدها لا تكفي لبناء الدول، ولا للحفاظ عليها، ففي أنظمة الحكم الاستبدادية لا رأي للشعوب، ولا صعوبة في تزييف إرادتها، طالما أن الإعلام والقرار بيد شخص واحد يستطيع أن يعمر البلاد، أو أن يدمرها حين تتعارض مصلحة الشعب مع مصلحة الحاكم، ومصلحة الطبقة المستفيدة من استبداده، وفساده.

وانفجر أبو كنج غضبا على عبد الناصر

د. يحيى العريضي

تقاسم حلفاء الحرب العالمية الأولى تَرِكَةَ ما سُمّي "الرجل المريض"، الإمبراطورية العثمانية، حيث أنهت بريطانيا تبعية مصر للخلافة العثمانية عام 1914 واستمرت سلطتها عليها؛ أما سوريا فكانت من حصة فرنسا حسب سايكس-بيكو عام 1916. بعد ربع قرن خرج الفرنسيون من سوريا، وبعد أربعة عقود وعامين، خرج الإنكليز من مصر.

برز نجم الضباط الأحرار في مصر عام 1952، وخاصة ذلك الضابط الشاب الأسمر الذي يحمل اسمه جاذبية الوعد، «جمال عبدالناصر». بسرعة لافته، تحوّل العسكري بلباسه المدني إلى حالة تجذب قلوب جماهير عربية متعطّشة للإحساس بوجودها وكرامتها، بعد تصدّيه للعدوان الثلاثي، وتأميمه لقناة السويس.

سوريا من جانبها، بدأت تتلمّس خطواتها نحو مستقبل حر، بأحزاب وبرلمان وحياة سياسية وصحافة حرة لبضعة أعوام؛ تسلّل خلالها العسكر إلى النسيج السوري في تحالفات وتناحرات سلطوية؛ ولتبدأ سوريا بالصحوة على انقلاب، لتنام على آخر.

رأى السياسيون السوريون والعسكر والشارع السوري أن الوحدة مع مصر عبد الناصر هي طريق الخلاص من عدم الاستقرار وتهديد الجيران وإسرائيل؛ ولكن كلاً لأهدافه وبطريقته. بدأ الضباط بلقاء مع عبد الناصر دون إذن حكومتهم. فكّر السياسيون الذين كانوا أكثر ميلاً للتأني؛ وهكذا كان عبد الناصر ورأوا أن الوحدة تحتاج إلى وقت واتفاقات سياسية وعسكرية واقتصادية؛ حتى لا يكون هناك ردة أو خيبة أو إحباط. أخيراً التقى الضباط بحكومتهم، ومسدساتهم أمامهم على طاولة الاجتماعات، وتم الاتفاق أن يحمل شكري القوتلي الرئيس السوري المبادرة إلى عبد الناصر؛ وكان الإعلان، وكانت الوحدة.

استغل عبد الناصر ذلك الوضع القريب للاستجداء؛ فأراد أن يجعل من سوريا نسخة عن مصر رغم اختلاف طبيعة البلدين: - حلّ الأحزاب، ليكون ذلك مقدمة لتصحُّر مديد للحياة السياسية في سوريا، - سيطر على الجيش، فأبقى "مودعة" (البيان رقم واحد) حيّة في سوريا، - جعل من الأمن وعبد الحميد السراج، والاعتقال، و محاكم أمن الدولة قبضة حديدية على سوريا، - جعل تأميم الاقتصاد من صناعة وزراعة وبنوك مطبّقاً القوانين "الاشتراكية" المصرية، - نال لغط و سخط اليمين والمتدينين. انفجر القدرَ، و كان الانفصال في الثامن والعشرين من أيلول 1961.

مع طلوع شمس الانقلاب، كانت الشتائم والقنابل والمسيرات والمظاهرات تبدل هتافاتها حسب ميل الكفة والمزاج ودرجات الخيبة، والانتهازية، والخوف، والبهجة. كقائد عام للجيش، عزل عبد الناصر ما سمّاه الضباط المتمردين؛ حاول إعادة السيطرة؛ ولكن عبثاً. ربما شعر أنه تخلّص من عبء. أعلنت الجمهورية العربية السورية، وتسارع السعي لنيل تأييد دول عربية؛ وما كان بعضها بحاجة إلى مساع.

أتى الحدث سريعاً، تماماً كما كان الإعلان عن الوحدة سريعا. ربما تمت الوحدة بحسن نية؛ ولكن الانفصال لم يكن كذلك. فاقت المواجع الآمال، وحطّمت الخيبة الأمنيات. وتحوّل الحلم باليد الواحدة القوية التي يمكن أن تكون النموذج لبقية العرب إلى حالة منفّرة. عاد القذافي – الذي يعتبر نفسه تلميذاً لعبدالناصر- وجرّبها مرات و مرات، لينفر العرب منها أكثر؛ وليستعيض عنها حافظ الأسد بـ "التضامن العربي"، ليتحوّل هذا التضامن إلى مزيد من التشرذم العربي.

ومن باب الطرفة حول الموضوع برمّته، روى لي والدي هذه الحادثة:

بعد أيام من انقلاب عسكر "الإقليم الشمالي" /سوريا/ على الوحدة، والانفصال عن "الإقليم الجنوبي" / مصر1958/، و في مضافة أبو علي طرودي الصحناوي، التي كانت تسمى (المشرّف)، في قرية الجنينة التابعة لمحافظة السويداء، وبحضور ما يقارب الأربعين شخصاً من القرية وخارجها، وقبل الغداء بساعة، كان الحديث عن أعوام الوحدة التي شهدت لسوء طالعها جفافاً قاسياً على سوريا، كان أبو كنج أخو المضيف غاضباً جداً على عبد الناصر، فكال له السباب والشتائم، محمّلاً إياه سبب الانفصال. صمت القوم للحظات، وانطلق صوت هادئ لأحد الحضور، المعروف بذكائه وخبرته وحكمته، وقال هازئاً:

"له، له، يا بو كنج ما معك حق تشتم عبد الناصر؛ فهو ألقى عشرات الخطابات وشتم أمريكا وأوروبا والعرب، ولكنني لم أسمعه يوماً يوجّه إليك شتيمة".

لم يكن أبو كنج إلا ترجمةً لصوت شعب عربي كان ضحية للوحدة العربية السورية المصرية التي بدأت بحماس وعاطفة واعتباطية، وانتهت بخيبة وعاطفة وانتكاسة، لغياب الحكمة والرشاد في الحكم.

لم يكن أبو كنج
إلا ترجمةً لصوت شعب عربي
كان ضحية للوحدة العربية السورية المصرية
التي بدأت بحماس وعاطفة واعتباطية، وانتهت
بخيبة وعاطفة وانتكاسة

العربي القديم
صحيفة شهرية تعنى بالتاريخ السوري والعربي وتستعيد ذاكرة الصحافة العابرة للأجيال

رئيس التحرير
محمد منصور

مدير التحرير
عبد الرحمن عمرين

سكرتير التحرير
رامي زين الدين

تدقيق لغوي
حسام الدين الفرا

إدارة سوشيال ميديا
فايز النعيمي

المستشار الفني
نبيل مراد

* الآراء الواردة في الصحيفة سواء من المقالات القديمة أو المقالات المكتوبة خصيصا لـ" العربي القديم" تعبر عن توجهات ورأي إدارة تحريرها
* إيميل التحرير: manasursham@gmail.com
* وللتواصل التحرير والإعلان: 00963981110000

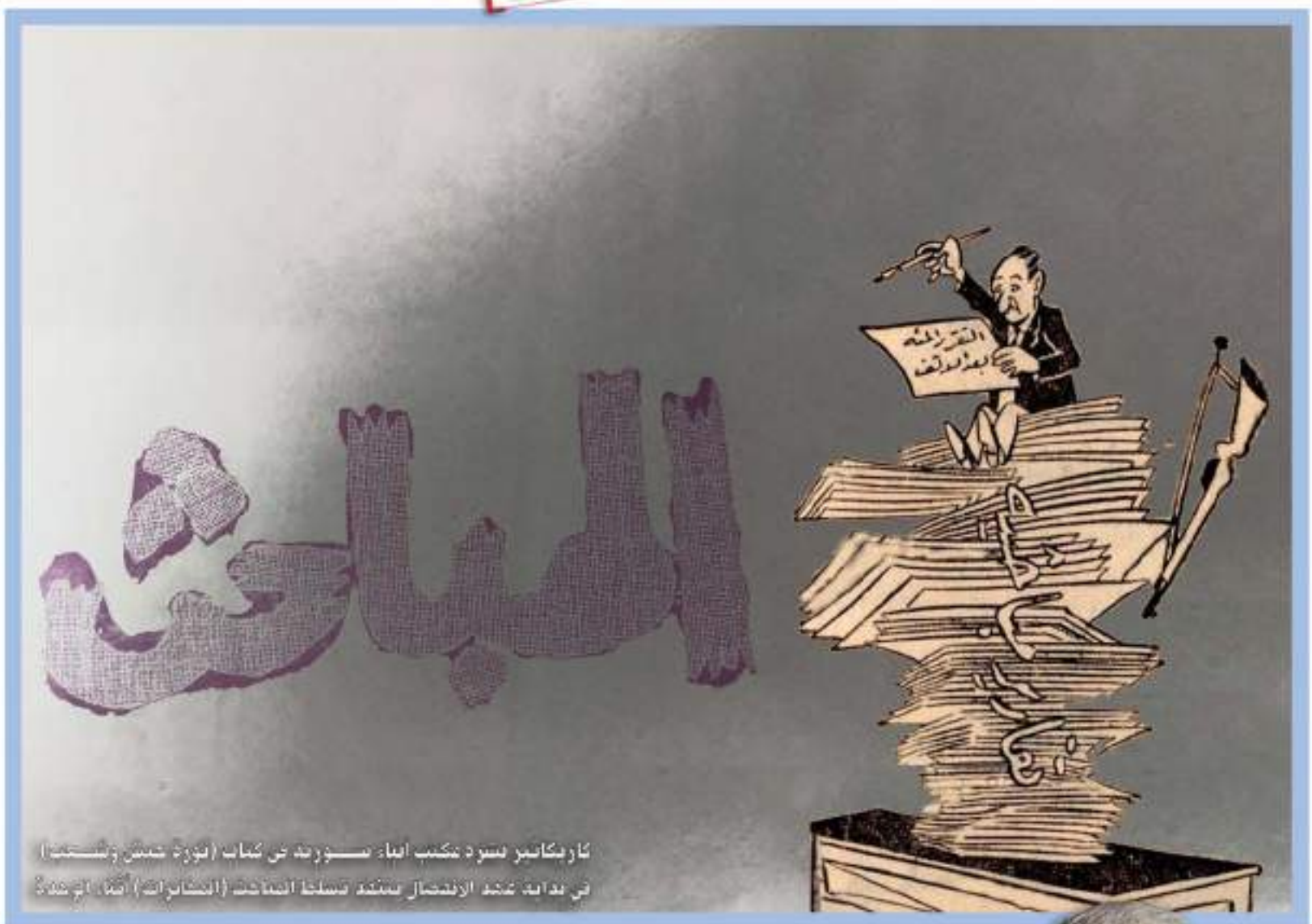

كاريكاتير للرسام نسرد منكب أبناء سوريا في كتاب (ثورة شعب وشعب) في بداية عهد الانفصال يمتطي ظهر الديمقراطية (المشاركة) أمام الوحدة

لماذا تنازَل شكري القوتلي؟

بقلم: صخر بعث

كان "شكري القوّتلي" 1891-1967 أوّل حاكم عربي "مُنتخَب" تنازل عن منصبه الكبير كرئيس للجمهورية السورية، والتي أصبح اسمها "الجمهورية العربية السورية" إثر تعديل دستور 1950 سنة 1961، وسيكون الأخير على الأغلب!

بعيداً عن تفصيل سيرة "القوّتلي" الذاتية وعن مسيرة حياته الزاخرة بالمشكلات والبطولات والأحداث والمفاجآت، الرجل الذي كان رئيساً لسوريا قبل الاستقلال عن فرنسا منذ 1943 وحتّى 1949، ثُمّ عاد رئيساً إليها سنة 1955 حتّى 1958، وقد قارع العثمانيين ثُمّ الفرنسيين، وشارك في الثورة السورية الكُبرى 1925، ونالت "سوريا" بعد وصوله إلى سُدّة الرئاسة الاستقلال عن فرنسا، "القوّتلي" الذي يبدو مثالاً حقيقياً لاستحقاق لقب "المُخضرم" لأنّه عاش وشارك وأثّر في الشأن السوري السياسي والاقتصادي مباشرةً خلال عهود سورية متلاحقة ثُلاثة، عهدها العثماني، وعهدها بفرنسا، ثُمّ عهد الاستقلال، ومع عهدي "الوحدة اليعربية" ثُمّ الانفصال، فلقد تخضرم "القوّتلي" بين أربعة عهود سورية فيها من التغيّرات والانقلابات والتحدّيات ما لا يمكن حصره.

لم يتنازل "القوّتلي" عن السلطة لصالح رئيس آخر، ولا لمعالجة فراغ دستوري رئاسي أو برلماني، ولا لتشكيل حكومة وفاق أو ائتلاف، بل بدافع إقامة "دولة الوحدة العربية"، دولة وحدة بين "مصر" وما سيتبقى من "سوريا".

والسؤال.. لماذا فعل "القوّتلي" هذا؟، هل كان مؤمناً بدولة وحدة عربية وقومياً عروبياً راغباً بها؟، أم دَفع إلى ذلك دفعاً؟، "القوّتلي" الذي بعد أن أعلن في خطابه يوم 5 شباط 1958 أمام النوّاب السوريين مبادئ وأسس "الجمهورية العربية المتّحدة" قال: (إنّ هذه المبادئ التي تلوتها ما هي إلّا من وحي شعوركم وضميركم، ومن صميم إرادة الشعب الأبي المناضل الذي انتخبكم وانتمنكم)، أيّة مبادئ تلك التي هي من صميم إرادة الشعب؟، والتي لخّصها "القوّتلي" بمبادئ الحرّية والعدل و"الحياد الإيجابي" وعدم الانحياز، معتبراً أنّها ترمز إلى حقّ السوريين في السيادة القومية، كما اعتبر أنّ "عناصر الوحدة" وأسباب نجاحها قد توافرت حين جمع البلدين "كفاح مشترك" زاد معنى القومية وضوحاً، وأنّ القومية حركة تحرير وتعمير وعقيدة سلام، ما هذا الكلام؟!.

هل كان "أبو الجلاء" وزعيم السياسة والاقتصاد السوري الوطني المناضل الذي كلّفه نضاله عبر عقود لاستقلال "سوريا" وديمقراطيتها ونهضتها ما كلّفه من ملاحقة وأحكام بالسجن والإعدام وإنفاق للثروة والمال مقتنعاً بهذا الإنشاء الرديء والاستهلال الساذج والاستنتاج السخيف في خطابه عن هذه الأسباب والمبادئ؟، أهذه الأسباب التي تدفع الدول إلى الاتّحاد؟، أو المبادئ التي تقوم عليها وحدة الشعوب؟، والتي نسفها أوّل رموز الديكتاتورية والعنف المأفون "جمال عبد الناصر" بعد أسابيع من إعلان قيام "الدولة المسخ" أعلى أجواء "فانتازيا" المدّ القومي والعروبة وقضايا عربية شائكة معقّدة، وبذريعة النضال لتحرير "فلسطين" وغيرها، الكذبة التاريخية الدائمة المستمرّة لحكم كلّ شعوب المنطقة العربية بالحديد والنّار.

بدأت مفاوضات الوحدة يوم 11 كانون الثاني 1958 بدون علم "القوّتلي" أو وزير دفاعه "خالد العظم" أصلاً، عندما توجّه وفد الضبّاط السوريين القوميين بقيادة رئيس الأركان "عفيف البزرة" إلى "مصر"، ووفق "عبد الله الخاني" في كتابه "جهاد شكري القوّتلي" فلقد قال "عبد الناصر" لهم: إنّ الرئيس "القوّتلي" الوحيد المخوّل بالتفاوض باسم الشعب والدولة السورية، لكنّ "القوّتلي" بعد علمه بهذا التجاوز، قرّر دعم جهود هؤلاء الضبّاط لا محاسبتهم على هذا التمرّد!، فأرسل وزير خارجيته "صلاح الدين البيطار" إلى "مصر" ليفاوض رسمياً على الوحدة باسم رئيس الجمهورية السورية.

لماذا بالتحديد وافق "شكري القوّتلي" بالنتيجة على هذا المشروع العجيب؟.

ثمّة احتمالان:

الأوّل أنّه أجبر عليه بسبب سيطرة العسكر والحزبيين اليساريين في "سوريا" منذ عامين على الأقلّ قبل التوقيع، مع الجنوح إلى "المعسكر الشرقي" خلال الحرب الباردة، ولقد وقّعت "دمشق" كما يقول "خالد العظم" في مذكّراته على سلسلة اتّفاقيات مع "الاتّحاد السوفياتي"، مُنحت "سوريا" من خلالها أسلحةً بقيمة 570 مليون دولار يجري تسديدها من عائدات القمح السوري، ومع تخصيص 68% من الميزانية للجيش والإنفاق العسكري، يبدو أنّ سطوة اليسار في الداخل ومن الخارج قد تكون السبب الذي دفع الرئيس للموافقة على الاتّفاقية مع "عبد الناصر" المدعوم من "الاتّحاد السوفياتي".

أمّا الاحتمال الثاني فهو شيء ما يبدو عاطفياً، نتاج شخصية "شكري القوّتلي" نفسها، الرجل اللطيف المحبوب الصادق والمخلص لشعبه ووطنه، فعاش صراعاً بين إيمانه بالوطنية السورية وحرصه على الاستقلال والديمقراطية وسعيه إلى تطوير الدولة وتعزيز دورها وبناء نهضتها واقتصادها، وبين الامتثال للرأي العامّ المندفع عن جهل أو عن ردّة فعل وبإسراف عاطفي مُفرط لتبنّي "قضيّة القومية العربية"، بعد "النكبة" و"العدوان الثلاثي"، فقبل الزعيم السوري المناضل بالاتّساق مع عاطفة الجماهير!.

انزعج رمز الديكتاتورية العربية "عبد الناصر" بعدما ظلّت أخبار الرئيس السوري الديمقراطي المُنتخَب تتصدّر الصحف السورية، واستدعى وزير "الثقافة والإرشاد القومي" وكان "رياض المالكي"، وأصدر أمراً رئاسياً بحجب الأضواء عن الجميع سوى عن شخص رئيس "الجمهورية العربية المتّحدة"، ويذكر "سامي المبيّض" في كتابه "عبد الناصر والتأميم" أنّ الخلاف بين الرجلين المختلفين اختلاف الثرى عن الثريا قد ازداد كثيراً بسبب إصدار "عبد الناصر" قرارات التأميم، وكان "القوّتلي" في خطابه قد وعد السوريين باحترام حرّياتهم وملكيّاتهم الخاصّة التي خسروها تماماً بسبب "الوحدة العربية"، وطلب "القوّتلي" من "عبد الناصر" التراجع عن هذه القرارات فرفض.

على أيّة حال... لقد كان قرار "القوّتلي" سواءً أُجبر عليه جبراً أو اتّخذه بملء إرادته الحرّة، من أعظم القرارات المؤثّرة على مستقبل "المنطقة العربية"، خاصّة في دول "الجمهوريات الافتراضية"، التي ادّعت حكوماتها منذ قيامها التمسّك بمبادئ الديمقراطية والوطنية أو القومية، لكنّ كلّ الممارسات الفعلية كانت بعيدةً تماماً ولا صلة لها بأيّ مبدأ أخلاقي أو قانوني.

كان تنازل البطل المحترم المرحوم "شكري القوّتلي" عن رئاسته الديمقراطية لسوريا بسبة "الوهم القومي العربي" ولصالح الديكتاتور "جمال عبد الناصر" نقطة البداية لحلول عهد الديكتاتوريات والقمع للشعوب في جمهوريات "سوريا" و"مصر" و"ليبيا" و"العراق" واليمن" وفي "الجزائر" وتونس" و"السودان"، بل ومؤثّراً لدفع الملكيات غير الدستورية إلى مزيد من التسلّط والبطش، فقدّمت صورة جديدة محلّية للاستعمار، الاستعمار الذي يهدف لاستعباد الشعوب وإذلالها واستغلالها بكلّ حجّة ووسيلة.

قبل وفاته خاطب الزعيم السوري "شكري القوّتلي" السوريين:

"كلمتي الأخيرة إليكم أنّكم وحدكم مسؤولون عن تقرير المستقبل، وأنّ القيادات في صفوفكم عناوين زائلة، وتبقون أنتم سطور البقاء والخلود، ولقد استطعتُ على خدمة نضالكم وجهادكم، مواطناً عادياً وجندياً مكافحاً، أكثر مما أتيح لي أن أتوفّر لهذه الخدمة الشريفة، رئيساً وحاكماً ومسؤولاً، وإنّ أعظم ما أطمح إليه أن أكون عاملاً في الحقل العامّ، عانق القضية المقدّسة منذ مطلع هذا القرن: فتىً وشاباً وشيخاً، أن أستحقّ استمرار الرضا عنه في صفوف المواطنين العاديين، مواطناً صالحاً وجندياً أميناً."

غلبني الشوق

عبد الرحمن عمرين

كان عبد الناصر يَنصت بشغف لكوكب الشرق، فسألته زوجته: بتسمع إيه؟ أجابها: غلبني الشوق! فقالت: حتى الشوق غلبك يا جمال!

هكذا، وبكلّ خفّة دم، وعمق، عبّر صاحب هذه الطرفة عن تاريخ الرئيس المصري الراحل جمال عبد الناصر! لكن الغريب أنّه، ورغم هزائمه الكارثية، يبقى معبود الجماهير العربية، وأملهم لإعادة أمجاد غابرة!

ليس ذلك فقط، فحتى يومنا هذا هناك أحزاب تحمل اسمه، وأشخاص يؤمنون بأفكاره، وبمشروعه القومي الفاشل، ورؤساء ساروا على خطاه بالاستيلاء على السلطة، وبناء السجون وأجهزة الأمن، وتخوين الآخر والإرادة الاشتراكية.. وهذه الأخيرة تشبه (التبول اللاإرادي) عند كلّ الدول التي اتّبعتها، دول لم تُفلح يوماً سوى بإنتاج الأغاني الوطنية المضللة! قد تكون هذه وجهة نظر سطحية حول شخصية عربية، ربما كانت الأبرز عربياً في القرن الماضي، فالرجل قام بإنجازات "جبارة" إذا نظرنا إليها ضمن سياقها التاريخي، أو هكذا يقول بعضهم، إذ لا يصحّ مناقشة الماضي بفكر ومشاعر الحاضر، بصراحة لا تحضرني إنجازاته، إلا إذا كان التأميم والإصلاح الزراعي في سورية أيام الوحدة أحد هذه الإنجازات، والتي لا يسعني القول حولها سوى: "الله لا يسامحو على هالعملة" لتأثيرها المدمر على بنية الصناعة والزراعة، والاقتصاد السوري على مدار عقود! أم هل تُعتبر جرائمه في اليمن إنجازاً؟ أم هزيمة 67 المعروفة بدلعها "النكسة"!

الكثير من المصائب والخيبات التي لا تكفي هذه الزاوية لذكرها، كانت بسبب هذا الرجل وبطانته، باعتقادي أن النجاح الوحيد الذي حقّقه ناصر تمثّل بسرقة قلوب الشعوب العربية، وغسل عقولها، ليس لأنه داهية مُحنّك، بل لأنه جاء بالزمان الخطأ، يعني في زمن كان فيه من يمتلك جهاز راديو يُعتبر من علية القوم!

وصل عبد الناصر إلى السلطة في بلد كمصر، كان يشهد تطوراً نسبياً مقارنة بماليزيا، وإندونيسيا، والفلبين، ودول عدّة مشابهة آنذاك.. بقيت مصر، وكأن الزمن توقّف عندها بالخمسينيات! أما ماليزيا، وإندونيسيا، والفلبين، وفيتنام ودول أخرى كثيرة، صاروا جميعاً كباراً يُزاحمون الكبار بالصناعات والاستثمارات، والتكنولوجيا!

هذا أيضاً إنجاز مُشرّف آخر يجب أن يُحسب لجمال عبد الناصر، إنجاز إيقاف الزمن! ختاماً، وكما يقول المثل: "شو بدي أتذكر منك يا سفرجل.. كلّ عضّة بغصّة!".

العقيد عبد كريم النحلاوي وسعد فنصة في ولاية ميشيغان الامريكية 2019

الانفصال السوري في أحاديث وشهادات تكشف الأسباب والخفايا

حين صرخ عبد الناصر في وجه نذير فنصة: إنت جاي من سوريا تديني مذاكرة في الوحدة العربية!

بقلم: سعد فنصة

قد يكون سبباً هامشياً، لم يلتفت إليه أحد، عندما كانت السينما المصريّة في الأربعينيات والخمسينيات، تشدّ المُشاهد العربيّ، وتُقدّم إليه مصر، وكأنّها قطعة من أوربا.

كانت القاهرة إحدى أشهر عواصم العالم، لا ريب أنّ أحداثاً سياسية وفنية جعلت من الملك فاروق نجماً، تتناقل أخباره الصحافة العالمية والعربية، جنباً إلى جنب مع أشهر نجوم السياسة والفن، في ذلك الوقت، وكانت أفلام فريد الأطرش، ومحمد عبد الوهاب، وليلى مراد، وأسمهان، وأم كلثوم، وغيرهم من المبدعين تُترجَم إلى اللغات الفرنسية والإنكليزية، وتُعرَض في دور العرض الأوربية.

كانت السينما في تلك المرحلة الزمنية إحدى أبرز نوافذ السوريين على العالم عموماً، والسينما المصرية خصوصاً، لكثرة مرتادي، ومتابعي الأفلام المصرية، في زمن ازدهار دور عروض السينما في سوريا، إذ كان في دمشق وحدها ما يُقارب أربعين صالة عَرْض، ومثلها، وأكثر في حلب، يُضاف إليها العُروض المُتنقّلة، والتي كانت تتمّ في الهواء الطلق أيّام الصيف، وهو تعداد كبير نسبياً، قياساً لإحصاء سكّان مدينة دمشق وحدها في أواخر سنوات الانتداب الفرنسي، بما لا يتجاوز 220 ألف نسمة.

كانت غالبية عُروض السينما في سوريا من السينما المصرية والأمريكية، إذ كانت مصر تحتلّ المرتبة الثالثة عالمياً في الإنتاج السينمائي، بعد الولايات المتحدة والهند.

لقد رأى السوريون مصر بالأبيض والأسود، وكأنها مُلوّنة بالخيال، قبل أن يظهر رواد الواقعية في السينما المصرية: صلاح أبو سيف، وكمال الشيخ، ويوسف شاهين وغيرهم، ليلتقطوا وقائع الحياة المصرية الحقيقية، في نهاية الخمسينيات، ومطلع الستينيات، من القرن الماضي، ويسدلون الستار على حقبة القصور الباشوية، والرومانسية المصرية المُفتعلة، أو الأفلام التي تستند إلى الموروث التاريخي التراثي الشعبي.

كلّ ذلك مُقدّمة لعنصر غاب عن أذهان الباحثين، في قوّة الجذب الشعبي العارم في سوريا، عند المطالبة بالوحدة مع مصر، أواسط خمسينيات القرن الماضي، لم يورده أيّ باحث، أو مُلاحظ لحراك الشعب في سوريا، أمّا في مصر، فكانت الصورة مغايرة تماماً في أذهان عامة المصريين، فلم تكن الوحدة مع سوريا مطلباً قومياً، إلا عند بعض النُّخب المصرية، إذ كانت النظرية الشرقية، ومصر الفرعونية، في السياسة الخارجية هي السائدة، ولا يمكن لأحد أن يُنكر أن جمال عبد الناصر قد عمل كثيراً في سبيل تعريب مصر، وبثّ فكرة القومية العربية، سواء عن طريق وسائل إعلامه، أو المناهج المدرسية، أو خُطبه المتواصلة، والتي حفظها الجيل الأقدم، وتغنّى بها من المحيط إلى الخليج تماماً كأغنيات أمّ كلثوم الطويلة.

القومية العربية حديثة العهد في مصر

وبرأي بشير فنصة في كتابه (النكبات، والمغامرات) كانت قضية القومية العربية، والوحدة العربية في مصر الشقيقة حديثة العهد على الساسة والمفكرين، وسواد الشعب، فلم تُبحَث هذه القضية بحثاً جدّياً، ولم تحتل مكانتها في الأذهان، إلا بعد تأسيس جامعة الدول العربية، إثر انتهاء الحرب العالمية الثانية، وكان الرأي العام في مصر غير مُهيّأ تماماً، لتقبّل فكرة العروبة، أو القومية العربية، كما يفهمها أهل الشام. وكانت فئة كبيرة من أدباء مصر، ورجال الصحافة، والزعماء السياسيين يُطلقون على أيّ بلد عربيّ اسم البلد الشرقي، وكانت كلمة (شرقي) هي المُستعملة في لغة الصحف والمجلات، بدل كلمة (عربي). أي إن سوريا في نظر تلك الفئة كانت بلداً شرقياً مثل الصين، أو اليابان.

أنا أوقن أنّ مَن يقرأ هذه الكلمات من العروبيين العرب، الذين قدّموا تضحيات جُلّى لا يُوافق على هذا الربط بين السينما والوحدة مع مصر، وقد يعتبره بعضهم سبباً تافهاً، مقارنة بالأحداث السياسية الكبرى، وفي مقدمتها بروز مشروع حلف بغداد، لابتلاع سوريا، كما كان يُروّج آنذاك في مشروع الوحدة مع الهاشميين، والتحرشات الإسرائيلية على الحدود السورية، ثم وقوع العدوان الإسرائيلي على غزّة، مطلع العام 1955، والحشود العسكرية التركية الضخمة، على الحدود الشمالية لسوريا عام 1957. يُضاف إلى كلّ ذلك ذروة الحرب الباردة بين القطبين الأعظم، ومناداة تيّار قويّ من الساسة والعسكريين السوريين باللحاق بركب المنظومة الاشتراكية، بعد خيبات الأمل المتلاحقة من الغرب الرأسمالي، كان أبرزها موقفه من القضية الفلسطينية، ومن ثمّ العدوان الثلاثي على مصر (بريطانيا وفرنسا وإسرائيل) في العام 1956 بعد تأميم عبد الناصر لقناة السويس، رداً على رفض الولايات المتحدة، والبنك الدولي تمويل القرض المصري في بناء السدّ العالي.

كلّ ذلك جعل من جمال عبد الناصر بطلاً شعبياً في أعين العرب، برغم هزيمته العسكرية، إلا أنه من الناحية المعنوية حقّق انتصاراً سياسياً وإعلامياً دولياً جعلته شخصية عربية وعالمية، بعد إنذارين خطيرين وجههما بولغانين، وخروتشوف بقصف لندن، وباريس بأسلحة إستراتيجية، ما لم يتوقّف العدوان فوراً على مصر.

ولم تتأخّر أطياف الشعب السوري كافة، بعد هذه التطورات العاصفة بالمتاف الصادق، في حينه، في غالبية المدن، والشوارع السورية:

(باكر.. باكر.. بدنا الوحدة مع الأسمر عبد الناصر)

لن أستفيض في مجريات الوحدة، فهي مُتاحة بكمّ هائل في ملفّات، ومُدوّنات، وحلقات بثّ وما صدر من مذكرات، ورسائل بحث جامعية، بقيت دور النشر، تُصدرها حتى اليوم.

ما سوف أختزله في النّص الساعات الأخيرة لحدث الانقلاب على الوحدة، وما سُمّي بمؤامرة الانفصال لأوّل وحدة عربية في العصر الحديث، وملابساتها الواقعية، من خلال بعض شهودها الحقيقيين الذين قُدّر لي الاستماع إلى شهاداتهم، وتدوين أبرز مواقفهم، خلال سنوات مضت من البحث، والتحقّق التاريخيّ، من المصادر الأصلية للشخصيات السياسية، والعسكرية التي دوّنت ذاكرتها، وشهاداتها، أو تلك التي التقيت بها شخصياً.

يقول نذير فنصة في حديث مُسجّل: إن أوّل لقاء تمّ بينه، وبين عبد الناصر بعد بضعة أسابيع من عقد الاتفاقية العسكرية، بين سوريا ومصر في العشرين من أكتوبر 1955 والتي تقضي بإنشاء قيادة عسكرية مشتركة في البلدين، حين أعلن عبد الناصر في حفل التصديق على الاتفاقية قائلاً: "إن هذه الاتفاقية فاتحة مستقبل جديد، فالتاريخ يُرينا، إذا ما اتحدت سوريا ومصر، فإنهما ستحميان العالم الشرقي من كلّ الأخطار التي يمكن أن تتهدده".

يتابع نذير فنصة: "كانت تلك أولى التصريحات الجليّة المبكرة عن المشروع الوحدويّ القادم بين سوريا ومصر، عندما التقيت الرئيس جمال عبد الناصر بوساطة من الصديق الصحفي محمد حسنين هيكل، حيث باركت للرئيس هذه الخطوة، وأردفت بالحديث إليه: كان لي شرف طرح هذا الموضوع لأوّل مرّة، مع الملك فاروق عام 1949، بطلب من صاحب الانقلاب الأول في سوريا الزعيم حسني الزعيم، وبأنني تسرعت في حينه بأن طالبت الملك بوحدة اندماجية فورية بين مصر وسوريا، ولكنني اليوم شديد الحرص بأن أقترح على سيادتكم أن تكون الوحدة التي يجري الحديث عنها اليوم مُتدرّجة، وليست كما سبق لي أن قدمت عناوينها العريضة مع الملك الأسبق فاروق، لذلك أنا أقترح على فخامتكم، بعد أن تكون الخطوة التالية في توحيد الجيشين، توحيد القوانين الناظمة في البلدين، مع مراعاة ظروف كلّ بلد على حدة، عند توحيد الاقتصاد في خطوة تالية، إذا لم تكن الأخيرة، فالأفضل توحيد السياسة الخارجية للبلدين، وإذ كنت على وشك شرح وجهة نظري، فوجئت بالرئيس يقف منهياً اللقاء، قائلاً بصلافة: "إنت جاي من سوريا تديني مذاكرة في الوحدة العربية".

الأسباب المباشرة في حركة الانفصال:

بعد صدور قوانين أمن الدولة التي حوّلت الحياة السياسية والاجتماعية في سوريا إلى شأن استخباراتي، يُحصي أنفاس السوريين، صدرت القوانين الاشتراكية، وتأميم الشركات، والمصانع الصغيرة، والكبيرة، وكان تأميم بعضها مهزلة حقيقية، لم تُوثّق تفاصيلها إلى اليوم، بما يُمكن وصفه بالكوميديا السوداء، مُثالي على ذلك، عندما تناهى إلى مسامع المُؤممين أن شركة كبرى مقرها حلب كان يُطلق عليها اسم رنان (شركة الشرق الأوسط) لإنتاج علب الكبريت، وجب تأميمها فوراً، نظراً لاتساع اسم وشأن الشركة، وعند قيامهم بفحص مقرّ الشركة وجدوا أنها عبارة عن دار قديمة في إحدى ضواحي حلب، يجلس فيها صاحب الشركة وزوجته وأطفاله على الأرض ممسكين بأعواد خشبية صغيرة، ويغمسون رؤوسها في حلّة كبيرة بالمادة الكيميائية التي يتمّ تحضيرها، مثل أيّ وجبة غداء، بمنزل شبه متداعٍ، في مشهد من البؤس الشديد.

لقد حدثت في سوريا أيضاً أول كارثة اقتصادية للبرجوازية السورية الناشئة، بوجهيها الزراعي والصناعي، إضافة إلى تأميم البنوك، كانت القوانين الجائرة، القشّة التي قصمت ظهر البعير على حدّ تعبير الوزير الطبيب بشير العظمة، حين كتب يقول: "بدا حرص عبد الناصر على السعي، لتطبيق الاندماج الكامل، وشكل السعي إلى تطبيق التجربة المصرية بحذافيرها ضغطاً شديداً على السوريين، وبدأ اللغط يدور في أوساط اليمين التجاري الصناعي، أمّا المتدينون، والإخوان المسلمون، فكانوا يتساءلون: "ما نفع مطاردة الشيوعيين، إذا كان الحكم شيوعياً يحمل لواء القومية العربية..؟"

مع ذلك جاء انقلاب العقيد عبد الكريم النحلاوي، ليكشف عن ضعف الأجهزة الأمنية للوحدة التي أُقيمت على عجل. ولم تكن الحركة العسكرية، كما روى صلاح نصر مدير الاستخبارات في مذكراته المعنونة (عبد الناصر، وتجربة الوحدة) تستهدف فصم عُرى الوحدة، فحينما قابل النحلاوي المشير عامر قال له: إن الحركة لا تستهدف الانفصال عن مصر، وإنما هدفها إجراء بعض الإصلاحات في المؤسسة العسكرية، وتقليص عدد الضباط المصريين في جيش الإقليم الشمالي.

كان العقيد عبد الكريم النحلاوي، وهو ضابط دمشقي مُحترَم، مُشهود له بالكفاءة، والانضباط العسكري يشغل منصب مدير مكتب المشير عامر، في قيادة الجيش في الإقليم الشمالي، قد قام بمساندة عدد من قادة القطعات العسكرية السورية في دمشق، تدعمهم القوة الضاربة المكوّنة من حرس البادية، يقودها المقدم حيدر الكزبري بإحكام قبضتهم على دمشق، وترأس العقيد عبد الكريم النحلاوي قيادة الحركة، بحكم موقعه الشديد الحساسية، حيث أكد الانقلاب أن حركتهم تهدف إلى تأمين المجتمع السوري، والعمل على إنصافه، من مظالم عبد الناصر، مع الوضع بعين الاعتبار ضرورة الاستمرار في إقامة جسور العلاقات، مع الجمهورية العربية المتحدة، وأكدوا في البيان الذي أصدروه فشل سياسة الضباط السوريين من خلال مطالبتهم

العقيد عبد الكريم النحلاوي:

وصفونا بعمـــلاء للولايات المتحدة الأمريكية والرجعية العربية، باعتبارها موّلت الانقلاب، وكّل ذلك غير صحيح لقد كانت دوافعنا كرامة الشـــعب الســـوري وجيـشه

المستمرّة بالحصول على حقوقهم، نتيجة لسيطرة العناصر المصرية، مع العناصر السورية الداعمة لحكم ناصر على مقدرات الأمور في سوريا.

وبالرغم من أن هذا الحديث قد يبدو تبريرياً، فإن أسباباً أعمق كانت خلف قرار الانقلاب. كان العقيد عبد الكريم النحلاوي قد أفضى به في حديث خاص جمعني به في ديترويت بولاية مشيغان الأمريكية، خريف العام 2019، وهو يُنشَر للمرّة الأولى ومفاده:

شهادة العقيد عبد الكريم النحلاوي

"لم تكن في نيتنا أبداً فصم عُرى الوحدة بين سوريا ومصر، لقد كانت مطالبنا إصلاحية، وسبق لي أن تحدثت مع المشير عامر، حول مطالب عناصر وضباط الجيش السوري في الإقليم الشمالي قبل الحركة، ولكنه لم يبادر إلى اتخاذ أي إجراء حاسم حيالها، وعندما قدّمنا مطالبنا للمشير عامر يوم الثامن والعشرين من شهر سبتمبر 1961 بكل الاحترام لرتبته، ودوره المُكلَّف به في قيادة سوريا، بعد حوار مع العميد موفق عصاصة، والعقيد زهير عقيل، والمقدّم حيدر الكزبري، والعميد محمد منصور وافق المشير على مطالبنا، واتفقنا على إصدار البيان رقم عشرة حولها، والذي كتبه الفريق جمال فيصل بخطّ يده، بأن تكون هناك قيادة جديدة، تقرّر فوراً إبعاد الضباط المصريين المُسيلين إلى القاهرة، مع بعض العناصر السورية والمصرية، وفعلاً تمّ ذلك، بترحيل مجموعة الضباط السابقين الذين أصبحوا في عهد الوحدة من الوزراء، فجاءت هذه الحركة بمثابة، صدمة للرئيس جمال عبد الناصر، فقام بتضخيمها، مع عدد من الدول التي كانت تؤيّد نظامه، وأصدر من القاهرة خطاباً ردّاً على الحركة جردنا فيها من رُتبنا، واتهمنا بالخيانة، ورفض البيان رقم 9، الذي سبق أن تمّ الاتفاق عليه مع المشير عامر، بأن تعود الأوضاع إلى سابق عهدها، وتتراجع القطعات إلى ثُكناتها بإنهاء الحركة، باتفاق بين الجانبين السوري والمصري بإبقاء الوحدة، لذلك قمنا بإصدار البيان رقم 10 الذي يُلغي ما تمّ الاتفاق حوله باعتباره مناورة، لأن الرئيس عبد الناصر كان قد أعلَم المُشير باتصال لاسلكي من القاهرة، بأنه قد جهّز حملة عسكرية جوية من المظليين، وصلت فعلاً طلائعها إلى اللاذقية، بقيادة الرائد جلال هريدي، قوامها 120 مظلّياً، سيتبعها لواء من المظليين بقيادة اللواء، محسن عبد النور، وطعمة العوض الله، وبحرية مكوّنة من خمس قطع بحرية قوامها 2000 جندي مصري ولكن القوات السورية في اللاذقية أحاطت بكتائب المظليين المئة والعشرين واعتقلتهم، بالرغم من أن اللاذقية في ذلك الوقت قد أعلنت العصيان على الانقلاب، وكان المحافظ العميد الأسبق عبدالله جسومة أحد الضباط القوميين العرب، بقي رافعاً علم الجمهورية المتحدة فوق دار المحافظة، كذلك فعلت حلب، وأعلنت العصيان على الانقلاب، من أثير صوت إذاعتها معلنة الانفصال عن دمشق، وظلّت تبثّ خُطب جمال عبد الناصر، ودعوتها البقاء تحت راية الجمهورية المتحدة، وزعيمها الأوحد جمال عبد الناصر، ثُمّ ما لبثت أن أعلنت انضمامها إلى الحركة. لذلك أنا أحمّل الرئيس جمال عبد الناصر مسؤولية الانفصال، والتي لم تكن أبداً نُصب أعيننا، عندما تمّ اتفاق ضباط الحركة السابقي الذكر، مع المشير عامر على تصحيح الأوضاع".

وقبل أن يختم العقيد النحلاوي، نظر إليّ بحزن السنوات التسعين من عمره المديد، قبل خمس سنوات من اليوم، وقال: "لقد تمّ ربط الانقلاب بغايات، وأجندات غربية، ووصفونا بعملاء للولايات المتحدة الأمريكية، والرجعية العربية، كما كانوا يُطلقون عليها، باعتبارها موّلت الانقلاب، وكّل ذلك غير صحيح، لقد كانت دوافعنا كرامة الشعب السوري، وجيشه بإرادة خالصة لوجه الله، والوطن والشعب".

وعندما سألته عن سرّ خفيّ دفين، لم يُعلن عنه أبداً حول دوافع الانقلاب، وما تناقلته ألسن الساسة والناس، والإعلام اللبناني الذي شغلته الصفحات الأولى والمانشيتات الإعلانية لوقت طويل، بين مؤيد ومعارض لحركة الانفصال، قال قائد الانقلاب: " قبل أسبوع واحد من الحركة وَرد إلى مكتب المشير من القاهرة أمر صادر من مكتب الرئيس جمال عبد الناصر يأمر القيادة في الإقليم الشمالي، بنقل مخزون البنك المركزي السوري من احتياطي الذهب إلى القاهرة، باسم الوحدة بين البلدين، أدركت بأن هذا الأمر قد يؤدّي بالاقتصاد السوري إلى الإفلاس بكارثة محققة، بعد قرارات التأميم المرتجلة، فراعني هذا الأمر، وتيقنت أن هذا القرار ليس في مصلحة البلاد، ولن يوافق عليه الشعب السوري، إذا علم به، لقد كان بمثابة عملية سطو كبرى باسم الوحدة".

كلمة أخيرة أختم بها هذا النّص المُقتطَف من أحداث مغيّبة، لازلت أعتقد أنها بحاجة إلى المزيد من الصفحات، والإضاءات حولها، قد لا يتحملها مقال في صحيفة، ولكن ما يؤيد بقوّة في ما ذهب إليه انقلاب الانفصال أن الغالبية الساحقة من الساسة الوطنيين التاريخيين في سوريا، الذين دعوا بحماس وصدق لمشروع الوحدة العربية، وقّعوا في ما بعد على وثيقة الانفصال عن مصر، وكان من أبرز الشخصيات الذين لم يُوقّعوا، لكنهم دعموا بيان الانفصال، في مقدمتهم الآباء المؤسسون للجمهورية السورية المستقلة: الرئيس شكري القوتلي، وفارس الخوري، وسلطان باشا الأطرش.

أدب الانفصال

قصة (رحماك يا دمشق): لسهيل إدريس حلم المثقف المندثر بمواجهة السلطة

حين ننظر إلى السرد المؤدلج سياسيًا نستطيع أن نتَلمَّس السّلطة الخارج نصيّة على مجمل النّص، ونستطيع استشعار المؤلّف وحضوره، ونسبة كثيرٍ من الأفكار في النّص إليه

بقلم: محمد طه العثمان

يرى كثير من النقاد أنّ جوهر (العلاقة بين الأنا والآخر هي الخيط النّاسج للنّص الإبداعي، وإذا كانت جدليّتها كثيراً ما تبدو مصطنعة في الخطاب الفكريّ، فإنّ الإبداع يتيح لها من مقومات البناء والصّياغة ما يوسّع إمكانات تصوّرها والتّعبير عنها) (1).

فالمتابع لحياة سهيل إدريس وإبداعه، سيلاحظ أنّ له خطابًا فكريًا تتماهى به أناه مع المحيط أولًا وأفكاره ثانيًا: يدافع في أغلب خطاباته عن التيار الوجودي ومن ثم التزامه القوّي بالفكر القومي العربي، هذا ما يبدو جليًا من خلال القصة التي بين أيدينا المعنونة بـ (رحماك يا دمشق) (2) والتي صدرت بعد الانفصال بين سوريا ومصر، فالمجموعة القصصية التي تحتوي على كثير من القصص غير رحماك يا دمشق حملت أيضًا العنوان ذاته، وهي تدور حول الأحداث السياسية في التاريخ العربي مثل الوحدة المصرية السورية، وتعكس الأحداث العربية المؤلمة المليئة بالهزائم التي ألمّت بالعالم العربي.

خبر الانفصال للجمهورية العربية المتحدة نزل بشكل فجائي وصاعق على سهيل إدريس وكثيرٍ من القوميين العرب خارج حدود الجمهورية، كلبنان والعراق والجزائر، حيث كانوا يرون في هذه الوحدة جوهر المشروع النهضوي العربي الساعي لتحقيق الوحدة العربية الشاملة.

في رأي إدريس والقوميين أن من سعى للانفصال ودبّر له، قد كشف في الوقت ذاته عن أعداء هذا المشروع الخارجيين والمحليين؛ فخلال السنة الثانية مباشرة من الوحدة، بدت الفرصة أكبر أمام البرجوازية وملّاك الأراضي في الانقضاض على الوحدة ومشروعها في التأميم والإصلاح الزراعي.

وفي العودة إلى القصة فإننا حين ننظر إلى السرد المؤدلج سياسيًا نستطيع أن نتَلمَّس السّلطة الخارج نصيّة على مجمل النّص. "ونستطيع استشعار المؤلّف وحضوره ونسبة كثيرٍ من الأفكار في النّص إليه، وليس ذلك صعباً، فعندما يستطرد السارد في الفكرة الواحدة ويقدّمها بإسهاب وتقرير؛ نستطيع القول إنّ المؤلّف لم يستطع التّخفّي" هذا ما سيبدو لقارئ قصة (رحماك يا دمشق)، في هذه القصة، تخفت شخصية الكاتب والناشر

سهيل إدريس وراء شخصية البطل زياد، وكأن من يقرأ القصة يقرأ خطاب سهيل إدريس بشكل مباشر من دون عوالم تخييلية، وهذا ما جعل القصة أقرب إلى السرد الذاتي والشخصي، فقد اعتمد على المباشرة بشكل كامل في توصيل الفكرة، فكرة توجس البطل من الخبر الذي انتشر حول انفصال الإقليم الشمالي عن الجنوبي، فصار البطل يتخبط حتى فقد أعصابه، وراح يجلس طوال الوقت وراء الراديو يلتقط خبرًا من هنا وخبرًا من هناك، وكل ذلك تجلى لنا من خلال الحوارات المباشرة مع زوجته، التي جعلها الكاتب هنا هي الراوي العليم، لقد استطرد الكاتب في الفكرة الواحدة وقدّمها بإسهاب وتقريرية، ولم يتطوّر الحدث فيها إلا من خلال ردّات فعل البطل وما يجري من أخبار عن الانفصال.... وحين تم نفي الخبر من إذاعة الجمهورية المتحدة بصوت جمال عبد الناصر، رجع البطل لحالته الطبيعية بل أصبح سعيدًا، وقرّر مع زوجته أن يذهبا إلى مصيفهما في الجبل كي يريحا أعصابهما مما هما فيه، خارج ضوضاء المدينة وضغط العمل.

إن بطل القصة كان كاتبًا وصحفيًا، وهذا ما أشارت إليه الزوجة السارادة للقصة، مما يدلل أكثر على التصاق شخصية البطل زياد بشخصية الكاتب سهيل إدريس، فنرى الراوي مارس سلطته، فلم يترك الشّخصيّة حرّة، شارك بشكل مباشر في صنع أحداثها، وهنا يبرز هذا الحضور ويتعزّز ويجعل القارئ في مواجهة السّارد الكلّي. لذلك تبدّى لنا بوضوح اعتناق الكاتب للفكر الناصري ودفاعه عنه بشكل واضح وما يؤكد ذلك هو المعركة التي خاضتها مجلة (الآداب) في مواجهة الانفصال الذي جعل أوّل حلم وحدة عربيّة في القرن العشرين يجهض، وهذا ما جعل الانفصاليين يمنعون مجلة (الآداب) في سوريا آنذاك.

لكن بعد عدة سنوات أصدر سهيل إدريس هذه المجموعة (رحماك يا دمشق)، كرد فعل على الذي حصل، وقد أدان فيها الانفصاليين، غير متخل عن تعلّقه بهدف الوحدة العربيّة، وكان هذا ينسجم مع التزامه القومي العربي (الناصري) في أواخر الستينات، ورفض نفق الأنظمة التي اعتمدت سياسة الأفق الواحد، ممّا حدا بكثيرٍ من الكتّاب إلى الخروج من هذه الأنفاق ورفض الواقع الرّاهن الذي أحكم سطوته على كّل ما هو ثّقافيّ، بعد أن أحكم سطوته على مساحات الحياة الأخرى السّياسيّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة.

هوامش:

(1) صورة الآخر (العربي ناظراً ومنظوراً إليه)، مجموعة مؤلفين، تحرير: الطّاهر لبيب / 38.

(2) سهيل إدريس: (رحماك يا دمشق) قصص - دار الآداب - بيروت 1965

الملف

الثقافة السورية في عهد الانفصال

عاشت الحياة الثقافية السورية خلال حكم الانفصال، عهدا نهضويا حقيقيا، صحت فيه الهوية السورية على تلمس ذاتها من جديد. فازدهرت الثقافة المدينية القائمة على التنوع والروح الليبرالية المؤمنة بتنافس الخبرات والانفتاح على النقد والتقويم، وضرورة إعطاء أصحاب المبادرات من كل الأجيال، دورهم في البناء والتأسيس من جديد.

فأطلقت وزارة الثقافة أول مجلة ثقافية شهرية رسمية هي مجلة (المعرفة) التي توارثتها العهود اللاحقة، وافتتحت مسرحا جديدا هو مسرح القباني الذي ينسب زورا لعهد الانقلاب البعثي، وشهدت الصحافة الأدبية عودة قوية، وافتتح المعهد العربي للموسيقى بدمشق أبوابه لاستقبال الطلاب، فيما أنتجت الدراما السورية أول مسلسل في تاريخها، وعاشت الإذاعة ثورة حقيقية سنستعيد ملامحها بأقلام شهود العيان في هذا الملف التوثيقي الاستعادي الذي يرسم ملامح عهد وطني يستحق أن يقرأ من جديد.

(العربي القديم)

الوزير عبد السلام العجيلي ألقى خطاب الافتتاح

افتتاح مسرح أبي خليل القباني بدمشق

وزير الثقافة عبد السلام العجيلي أثناء افتتاح مسرح القباني (الرشيف سعاد جروس)

كتب حسن كمال:

بالنيابة عن السيد رئيس الجمهورية افتتح الدكتور عبد السلام العجيلي وزير الثقافة والإرشاد القومي، مسرح القباني في التاسعة من مساء يوم الثلاثاء الواقع في 1962/5/8 بحضور عدد من المثقفين والوزراء، والمسؤولين في الحكومة والعائلات الكريمة. وقدمت فرقة المسرح القومي في هذه الحفلة مسرحية الأشباح للكاتب العالمي هنريك ابسن.

وقد افتتح السيد وزير الثقافة والإرشاد القومي الحفلة الأولى بكلمة أشار فيها إلى رسالة وزارة الإرشاد القومي، وإلى فن المسرح في بلادنا، قال:

أرحب بكم في هذا الحفل الذي نفتتح به بصورة رسمية مسرحنا الذي يحمل اسم رائد التمثيل في بلدنا: القباني أبي خليل، الذي كان رائداً أولاً لكل الحركة المسرحية في كل الوطن العربي.

إن وزارة الثقافة والإرشاد القومي لتشعر بالفخر إن استطاعت أن تضع بافتتاح هذا المسرح، وتهيئة الفرقة التي ستتقدم إليكم بإنتاجها عليه، وهي واحدة من فرق وزارتنا الخمس، وبالاستعدادات التي تتخذها لديمومة العمل المسرحي في عاصمة الجمهورية وفي مدينتها الكبرى، إن وزارتنا لتشعر بالفخر إذ تدرك انها بكل ما ذكرت قد وضعت حجر الأساس لنهضة مسرحية شاملة تريد أن تصيب بها أهدافاً متعددة. فكلنا نعلم أن التمثيل المسرحي كان ولا يزال في مقدمة الفنون التي تدل على النضج الفني في حضارة ما. وفي عصرنا الحاضر أصبح التفوق في التمثيل المسرحي حصيلة ألوان من التفوق في فنون أخرى كالأدب وفن التزيين والإخراج وأعمال الإضاءة. لذا فإن تخلف المسرح في مجتمع ما بعد أن انفتحت له آفاق الثقافة والمعرفة من كل جانب لما يدعو إلى التساؤل عن مدى قابلية هذا المجتمع للتناغم مع حضارة هذا العصر واتجاهاته الفنية. ولقد أرادت وزارتنا بعملها الذي تشهدون اليوم إحدى بواكيره، أن تستدرك ما فات مجتمعنا في هذا الجزء من وطننا العربي من ضعف المسرح أو فقده لعوامل كثير تضرب أسبابها إلى أجيال التخلف والتبعية والإفكماش.

وهدف آخر أرادت وزارتنا أن تبلغه بعملها للحركة المسرحية أو لمبادرتها إلى رعايتها وحضنها لها بكل إمكانياتها. فلا شك في أن في أبناء هذه الجمهورية مواهب كثيرة، وميولاً شديدة إلى العمل المسرحي في كافة نواحيه، من تأليف وتمثيل وأعمال فنية قد برهنت على وجودها في جماد الفرق الخاصة والممثلين الموهوبين الذين عملوا لهذا الفن أمداً طويلاً ومشكوراً بحماستهم وجهودهم الفردية ومازالوا يعملون، وكان من الممكن لهذه المواهب والميول أن تكون أكثر بروزاً لو أن وسطاً مسرحياً متكاملاً كان تحت تصرفها إلا أن فقدان هذا الوسط يجعل مصير تلك المواهب والميول إلى العقم والتلاشي ولا سيما أن تفوق المسرح يحتاج إلى إمكانيات كثيرة يعسر تداركها على فرد أو على جماعات محدودة القدرة.فإن تقدم وزارة الثقافة والإرشاد القومي على التكفل بإقامة وسط مسرحي هو مساهمة منها فيحضن المواهب الكامنة والميول المتحفزة للإنطلاق والحيلولة بينها وبين أن تضيع هدراً.

وثمة هدف ثالث لوزارتنا في جعلها المسرح أحد المعالم الواضحة في طريقها لخدمة الأمة وأبنائها. فإذا كانت المعاهد التي تتولاها وزارة التربية والتعليم من مدارس وكليات وجامعات تقوم على تعليم النشء وتثقيفه فإن مهمة وزارة الثقافة والإرشاد القومي هي أن تتولى التعليم والتثقيف في النطاق الخارج عن المدرسة. ونحن إذ نعلم مدى ما فات على الأجيال المتلاحقة من شعبنا من التعليم المدرسي ندرك أهمية الواجب الملقى على عاتق وزارتنا في تلافي النقص في ثقافة المواطنين العامة، وتحاول بالإمكانيات التي تمتلكها أن تسد العوز وتأتي على الحاجة. والمسرح إحدى وسائلنا إلى هذا. المسرح مدرسة الشعب كما هو مشهور. فليس ترفاً ما تبذله في سبيل المسرح من جهد ولا مال بل هو لازم ومجز. وواجب أن تتولاه الدولة بإمكانياتها الكافية ووعيها للطريق الذي يجب أن تسلك فيه هذه المدرسة الشعبية من العمل القومي في المستوى الفكري اللائق والاتجاه الأخلاقي الصحيح.

سيداتي وسادتي:

إن ما يعرضه مسرحنا في التمثيلية التي ترونها اليوم وفي تمثيلياته القادمة إنما هو إنتاج الوزارة بفنانيها وإداريها وعمالها، إنتاج جهدهم الدائب المتفاني، ونحن نأمل أن يستهويكم هذا الإنتاج ويحقق لكم المتعة النفسية والفكرية بمستواه الفني الذي سترضون عنه. ولا أكتمكم أن المسرح مسرحنا الناشئ، سيظل مهما كان المستوى الذي نبلغه به رفيعاً، بحاجة إلى مساهمة منكم، بالمشاركة في الاهتمام به والإقبال عليه. ذلك أن هذا الفن الرفيع قد ولد عندنا في جو ملبد بألوان من المرفهات أقل منه دسماً ولكنها أكثر إغراء. وهو وإن يكن فن الشعب من ناحية المبدأ فإنه لن يجد حياة قوية مستمرة إذا لم تحتضنه النخبة مشاركة فيه متجاوبة معه داعية له. لابد لنا أن نخلق جمهوراً مسرحياً لمسرحنا الجديد الذي لم يتكون له جمهور بعد، وفي هذا اعتمادنا عليكم وأنتم نخبة هذا البلد فكراً وتفهماً وإمكانيات.

وبعد فإني أختم كلمتي متقدماً بشكري وشكر وزارة الثقافة والإرشاد القومي لسيادة رئيس الجمهورية الدكتور ناظم القدسي الذي تفضل برعاية هذا الاحتفال وبأن أنابني عنه بحضوره، ولكم أيها السيدات والسادة مرحباً بمقدمكم. وباسم الله أفتتح هذا المسرح.

مجلة (المعرفة) حزيران/يونيو 1962

وزارة الثقافة تصدر أول مجلة ثقافية شهرية

المعرفة سد فراغ.. والدولة تملك ولا تحكم

صدر العدد الأول من مجلة (المعرفة) في آذار/ مارس عام 1962 وترأس تحريرها الأديب فؤاد الشايب، وكانت أول مجلة شهرية تصدر عن وزارة الثقافة، وقد جاء العدد الأول في (180) صفحة من القطع الكبير. حافلا بالعديد من الدراسات والبحوث والمقالات والنصوص الإبداعية والمراجعات النقدية، ناهيك عن متابعات النشاط الثقافي في سورية والعالم.

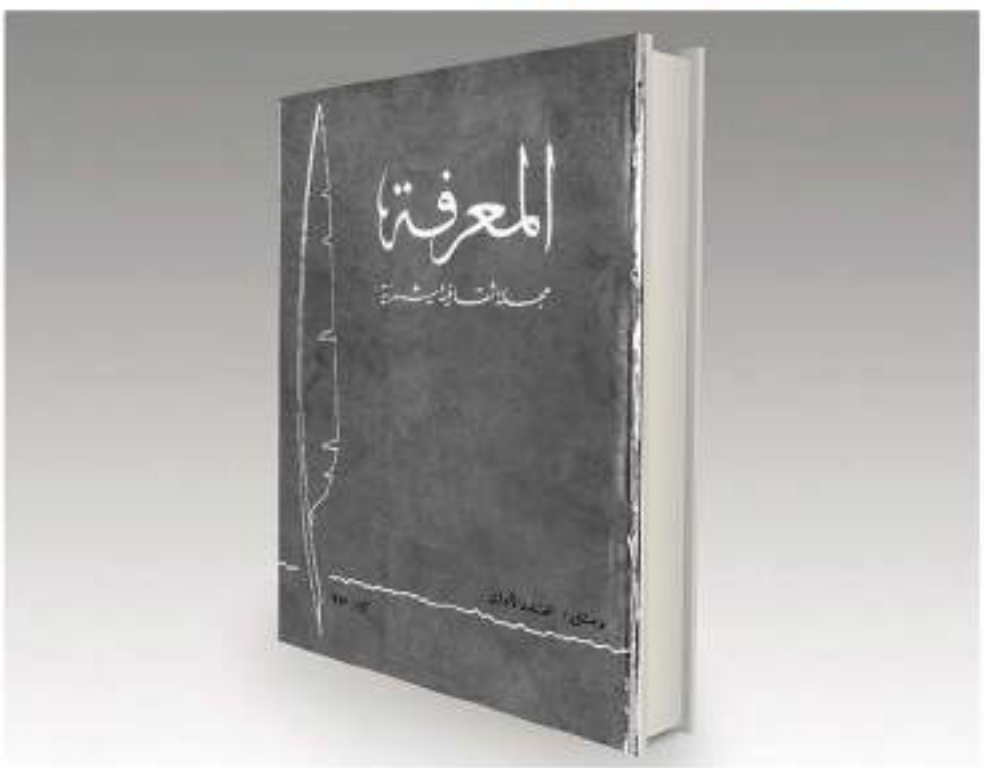

قدم للعدد الأول وزير الثقافة والإرشاد القومي والإعلام فؤاد العادل. وجاء في الافتتاحية:

طالما تاقت العقول وهفت الأقلام إلى ميدان تعرض فيه نتاجها السمح، وتزجي عطاءها الخير. وتنشر على الناس في إطار رصين يهيج أقباس الفكر المسددة إلى آفاق المعرفة.

وقد أعوز هذه العقول والأقلام اللقاء المرتقب في بلدها، فاغتربت وغذت بنتاجها أمهات الصحف والمجلات في ديار العرب المترامية. لأن الساح في البلد قد خلت من مجلة راقية جدية تحضن الأدب الخالص والفكر الناضج، والأقلام النظيفة الحرة، وتؤلف بينها في لقاء سعيد، فكان لزاما على وزارة الثقافة والإرشاد القومي أن تأخذ زمام المبادرة، وتعمل على سد هذا الفراغ المؤسف، ذلك لأن العمل الفردي مهما أوتي أصحابه من قوة الإيمان، وثبات الجنان، والصبر والجلد على المكاره والصعاب، مآله التسليم بالمصير المحتوم الذي آلت إليه سائر المحاولات الخيرة التي سبقت في ميدان الفكر والنشر. فقامت مجلة (المعرفة) لتكون سوقا للأدب، مهرجانا للفكر، معرضا للفن، موعدا للقاء بين حاملي رسالة الحرف، وسدنة الثقافة والفكر في دنيا العرب والعروبة، فتعبر عن رسالة الوزارة في نشر الثقافة الناضجة والفن الأصيل والقومية العربية المتطورة.

وإنني إذ أقدم للقراء العرب العدد الأول من مجلتنا (المعرفة) أرجو وآمل أن يتصل بي الزهو، ويتسامى بي الإعجاب يوما بعد يوم، وعددا وراء عدد، فيتكامل البناء ويغتني النتاج وتتحقق الرسالة.

وبعد فهذه المجلة مفتوحة الأبواب بحياد وتجرد لكل يراع ماض وفكر مشرق ونتاج خير هادف. ولن تقوم وتزدهر إلا بتعاون أهل الفكر والعلم والفن والقلم، ورفدهم لها وإيمانهم بضرورة وجودها، وسمو مقاصدها ونبل أهدافها وقد حشدنا للمجلة من حولها شتى الطاقات الناشطة المبدعة، فادعوا معنا لها بالنجاح والتقدم، بل اعملوا على أن تكون محاولة فريدة، وتجربة نافعة باقية.

***

الأديب فؤاد الشايب رئيس التحرير، قدم للمجلة بكلام جريء يعكس روح المرحلة، مذكرا الدولة بأنها تملك ولا تحكم وأن عليها أن تقف بعيدا، فقال: "إن هذه المجلة ليست ملكا للدولة، بالإصلاح الاقتصادي، وليست بمثابة منجم أو مصنع صلب تضع عليه يدها، لتفرض عليه كم الانتاج وكيفه.بل الدولة هنا – بالإصلاح السياسي – تملك ولا تحكم، وليست تملك في الواقع سوى الحبر والورق وما تقدر به ثمرات الأقلام، أما ما يصنع من هذه المواد ليظهر على الصفحات فهو للأقلام وأصحابها، مجد من عرض مادته. وأما العاملون الخادمون في جهاز التحرير، فإنهم مفوضون من قبل الدولة بأن يحملوا أختام المفكرين وخدهم. وحسب الدولة بجهازها جزاء، أنها تقف من بعيد، لتمتع نفسها بمرأى الغراس تتماوج حرة فوق تراب الفكر الخصيب. والغراس هذه ليست وعدا جماليا من وعود التراب والشمس فحسب، بل هي غداً جنة من الثمار اليانعة قطوفها دانية.

ساهم في العدد الأول نخبة من كبار كتاب سورية: الشاعر شفيق جبري، د. محمد المبارك، د. جميل صليبا، د. عبد الله عبد الدايم، نزار قباني، وداد سكاكيني، سامي الكيالي، خليل هنداوي، د. جمال الأتاسي، د. صالح الأشتر، صبحي كحالة، محيي الدين صبحي، أديب اللجمي، عبد الله الشيتي.

وقد أصدرت المجلة (13) عددا قبل وقوع انقلاب البعث في الثامن من آذار عام 1963

خاص - (العربي القديم)

التلفزيون السوري يقدم أول مسلسل تلفزيوني من إنتاجه:

رئيس الجمهورية ناظم القدسي يهنئ المخرج سليم قطاية على مسلسل (ساعي البريد)

المخرج سليم قطاية

بدأ التلفزيون العربي السوري في خريف العام 1962، بعرض أول مسلسل في تاريخ الدراما التلفزيونية السورية. ويعرض المسلسل مساء كل يوم أربعاء الساعة التاسعة والنصف ليلا، وتستغرق مدة الحلقة (45) دقيقة. وهو من إعداد وإخراج سليم قطاية.

فمن هو هذا المخرج الذي استطاع أن يقدم أول مسلسل تلفزيوني، والتلفزيون الوليد في سورية لم يتجاوز السنتين من عمره؟!

ابن إذاعة حلب

في بداية عام 1960، أعلن عن مسابقة لاختيار مخرجين للتلفزيون الذي كان يتم التحضير لإحدائه في دمشق... وقد تقدم سليم قطاية إلى هذه المسابقة، ونجح بتفوق ملحوظ... فقرر أن يترك عمله في مديرية الصحة بحلب، وأن ينتقل مع أسرته وعائلته إلى دمشق، ليدخل عالماً جديداً ومدهشاً، كان يثري مخيلته بالأحلام والطموحات.

فاستأجر بيتاً صغيراً ومتواضعاً قرب مشفى المجتهد بدمشق، وبدأ عمله في التلفزيون، وكانت فرصته الهامة حين قررت إدارة التلفزيون إيفاده إلى هامبورغ في ألمانيا، في دورة إطلاعية وكان من زملائه في تلك الرحلة التي استطاع أن يتكشف فيها أسرار فن التلفزيون مروان شاهين.

كان من الطبيعي أن يعاني سليم قطاية من غياب الكاتب التلفزيوني، لأن جل ما يقدم في التلفزيون من أعمال درامية، هي مسرحيات تنقل إلى الأستوديو وتبث على الهواء مباشرة أو تسجل... ولهذا عمد سليم قطايا إلى برنامجه الإذاعي (ساعي البريد) الذي كان يقدمه في إذاعة حلب التي سبق أن عمل مخرجا فيها وقدم العديد من الأعمال والمسلسلات الدرامية الناجحة، ومنها (ساعي البريد) الذي اتخذه إطاراً لعمله الدرامي في التلفزيون.

تقوم فكرة العمل على رسالة يحملها ساعي البريد (جسد دوره الفنان عمر حجو) إلى مذيعة التلفزيون، التي سرعان ماتبدأ بقراءتها، ثم تتالى المشاهد الدرامية التي تجسد المشكلة، التي انطوت عليها الرسالة التي وردت إلى البرنامج.

عمر حجو وتاج باتوك في مشهد من مسلسل ساعي البريد (أرشيف العربي القديم)

مشكلات محلية وواقعية إخراجية

تميز هذا المسلسل بالإحساس العميق بالواقع الاجتماعي السوري، من خلال إصراره على عرض مشكلات اجتماعية ذات طابع وبعد محلي أولاً... لكن سليم قطاية، لم يكن يفعل هذا عن عبث أو لمجرد التميز وحسب، ومن يستمع إلى ما يقوله حول حركة الكاميرا والإخراج، سيشعر بأن ما فعله كان نتاج رؤية، ونتاج رغبة واضحة في تطوير أدواته وفنه وبلورة أسلوبه الواقعي... الذي يصفه بالقول:

"إن الواقعية هي تمثل للذات، تقمص لذات معينة، وهذا يحتاج إلى حدس خاص لا شرود فيه، والحركات الخارجية هي مسببات خارجية لأسباب وأفعال داخلية، ولا يمكن في الإخراج الاعتماد على الفعل الخارجي، إلا بما ينسجم مع الفعل الداخلي لذات الإنسان... لذا فإن استعمال الألوان، والإكثار من الإضاءة والديكور والحركات المفتعلة الرتيبة، تجري وكأن لا علاقة لها بالشخصية الضمنية للدور".

أما حركة الكاميرا كما يراها... فيوّصفها ببلاغة واقتصاد حين يقول:

"الكاميرا إيقاع صامت، وتصاعد حركي يتماشى تماماً مع الموضوع"

تهنئة رئيس الجمهورية

وبسبب هذا الوعي والعمق في فهم دوره كصانع دراما، حصد سليم قطاية إعجاباً كبيراً، دفع برئيس الجمهورية الدكتور ناظم القدسي، للثناء على المسلسل ودعوة مخرجه وفريق العمل إلى زيارته، بعد أن تأثر بإحدى الحلقات التي حملت عنوان (الجد) والتي رسم فيها قطاية، صورة درامية مؤثرة لوالده في إطار يختلط فيه الذاتي بالموضوعي ليلامس شغاف القلوب.

وذكرت مجلة (الدنيا) الدمشقية في عددها الصادر بتاريخ 16 تشرين الثاني/ نوفمبر 1962 أن:

"المخرج سليم قطاية تلقى تهنئة من فخامة الدكتور ناظم القدسي رئيس الجمهورية العربية السورية على مسلسله الناجح (ساعي البريد)، سليم لا تسعه الدنيا من الفرحة".

يشارك في حلقات مسلسل (ساعي البريد) نخبة من الممثلين السوريين، من أبرزهم: (أكرم خلقي - ثناء دبسي- عمر حجو- رفيق السبيعي - هليدا زخم - هاشم قنوع - شارلوت رشدي - براءة شفيق)

وتتابع الصحافة السورية حلقاته باهتمام، من خلال إفراد زوايا خاصة للتعليق على كل حلقة.

خاص- العربي القديم

جولة مع برنامج ساعي البريد..

وجها لوجه

شاهدت برنامج ساعي البريد الماضي وسجلت هذه الملاحظات عنه •

١ ـ لقطات الكاميرا كانت بعيدة •

٢ ـ انفعالات وجوه الممثلين كانت معدومة بسبب بعد اللقطات •

٣ ـ سحر كانت رائعة كانت تمثل بأعصابها وكان بكاؤها حقيقيا في معظم المواقف •

٤ ـ رفيق السبيعي اثبت انه ممثل قدير • وهو يقوم بدور الاب •

٥ ـ اثار تمثيل الطفلتين في البرنامج اعجاب الجميع•

٦ ـ براءة شفيق لم تكن تمثل بحرارة • الجمود كان يسيطر عليها • كلماتها كانت مفتعلة وجافة والدور بالاجمال غير صالح لها •

٧ ـ موضوع القصة كان عاديا •• ولكنه بالاجمال اثبت وجوده •

٨ ـ هاشم قنوع كان ناجحا في اداء دور الخادم الخفيف الظل •

٩ ـ اكرم خلقي رغم صغر دوره اعطانا صورة حلوة عن اصالة الممثل الكبير الذي ينجح في اداء اي دور •

١٠ ـ شارلوت رشدي لم تظهر الا لماما • اقتصر دورها على وداع الام (براءة شفيق)ووداعها بعد «قبض» العملة •

١١ ـ « تكتيك » فصول التمثيلية وربطها كان موفقا

١٢ ـ الديكور كان رائعا وقد كنا نحس بان مانشاهده على الشاشة يجري تماما في بيت حقيقي•

موضوع القصة

وموضوع القصة بعد هذا العرض المختصر يدور حول ام لطفلتين • ولكن هذه الام لاتحاول الاعتناء بهما مما دفع بالزوج الى جلب مربية لهما • وقد شعرت الام وبعد فوات الاوان ان المربية اصبحت في مقام الام بالنسبة الى ابنتيها وذلك بسبب بعدها عنهما فحاولت اصلاح الموضوع والعودة اليهما على انقاض نفسية المربية الطيبة •

وفي الخصة ثمة عقدة • خيانة • زوجة تبدو في تصرفات الزوجة التي يخيل للشاهد انها على علاقة مامع انسان غير زوجها • وتحل هذه العقدة ببراءة الزوجة • عندما يكتشف الزوج انها تذهب خفية لمقابلة والدها الخارج من السجن بعد ١٥ عاما دون ان يعلم الزوج بالامر من قبل •

وختام التمثيلية كان في مستوى الدرام الفذ وذلك عند مغادرة المربية المنزل والاطفال كسيرة القلب والخاطر •

لفظ

هاشم قنوع او ظريف الندي يظهر ويصورة مستمرة مع حسناوات من كافة الاصناف تارة مع شقراء واخرى مع سمراء وهكذا •

بالمناسبة : ظريف الندي لاينوي الزواج اطلاقا •

وعذره الوحيد في ذلك ،انه لم يعثر بعد على نصفه الحلو المماثل في الطول والعرض !!

مجلة (الدنيا) العدد (605) 10/5/1962

أول عمل بتوقيع مخرجة في تاريخ الدراما السورية

تمثيلية (أبو البنات): خلال ربع ساعة يصدر الجمهور حكمه على جهد أسابيع

بقلم: ياسين رفاعية

يصحح هذا المقال معلومة هامة في تاريخ الدراما السورية، إذ يوثق أن أول مخرجة قدمت عملا دراميا تمثيليا في تاريخ الدراما التلفزيونية السورية هي المخرجة (قسمت طوران) من خلال عملها (أبو البنات) للكاتب وليد مدفعي، الذي صوّر في استوديو 1 في التلفزيون السوري أواخر العام 1962 أثناء فترة حكم الانفصال. (العربي القديم)

رياض شحرور يتوسط هاشم قنوع وإبراهيم كردية

عندما يتمتع أحد المشاهدين للتلفزيون برؤية تمثيلية صغيرة قد لا تتجاوز الربع ساعة، قد لا يخطر بباله أن جهدا عظيما يبذل من أجل هذه الـ "ربع ساعة" وقد رافقت إعداد تمثيلية قدمت مساء الجمعة الماضي بعنوان (أبو البنات) للأديب وليد مدفعي. وكان ذلك منذ أكثر من شهرين.. أي منذ تسلم مروان شاهين إدارة التلفزيون الفنية. وكانت السيدة قسمت طوران مخرجة التمثيلية تتردد على مقر جمعية (العهد الجديد) حيث كانت تقوم بالبروفات، لتختار الوجوه والأصوات الصالحة للأدوار. واستمرت هذه التجارب أكثر من أسبوع، حتى استقرت الآراء على الوجوه التي قدمت التمثيلية وهي (جمانة طه، سامة الجزائري، رياض شحرور، هاشم قنوع، محمود جركس، وابراهيم كردية)

وأخذ الممثلون يحفظون أدوارهم، إذ إن التلقين المسرحي لا يمكن أن يُطبّق في تمثيليات التلفزيون، إن أقل غلطة يرتكبها الممثل يكلّف مالية التلفزيون على الأقل (500) ليرة.. لأن معنى ذلك إتلاف التسجيل وإعادة العمل من جديد. وبعد مرور أكثر من شهر كامل، تقرر أن يكون موعد التسجيل يوم الإثنين ما قبل الأخير، وقالت المخرجة: "أعتقد أنني على استعداد لذلك".

وفي اليوم التالي كان الجميع في مبنى التلفزيون، وأخذت المخرجة توزع تعليماتها على موظفي المكياج، وخلال نصف ساعة أصبح عمر رياض شحرور حوالي الخمسين، وأصبح عمر هاشم قنوع حوالي الأربعين.. وهكذا فإن تبديلاً كبيراً طرأ على الممثلين، عدا جمانة طه التي ظلت محتفظة بصورتها الأصلية. أما سامية الجزائري فقد أصبحت ممرضة وكأنها أمضت في المهنة سنين عديدة.

وانتقل الجميع فيما بعد إلى الاستوديو رقم 1، وهناك جلست المخرجة وجلس مساعدها خلف الآلات الزجاجية الحاجزة للصوت، وأخذت تدرّب المصورين على اللقطات بينما كان الممثلون يتدربون للمرة الأخيرة على أدوارهم. وفي الساعة الثانية تماما، بدأ التسجيل وكانت المخرجة متوثبة الأعصاب تلاحق المصورين واحداً إثر واحد، كما تراقب الممثلين في الوقت نفسه، وتعطي تعليماتها إلى موظفي التسجيل.

وأخذ الممثلون يؤدون أدوارهم ببراعة فائقة، وأكثرهم كان يمثل للمرة الأولى كجمانة طه وسامية الجزائري. أما إبراهيم كردية، فقد كان يظهر للمرة الأولى على شاشة التلفزيون، وأما رياض شحرور فقد سبق له أن قدم مسرحية (وعلى الأرض السلام) التي استمر عرضها ساعة ونصف الساعة في التلفزيون، وأما هاشم قنوع فله جولات كثيرة في التلفزيون وكذلك محمود جركس. وظل التسجيل مستمرا حتى الساعة الثالثة والنصف، وعندما خرج الممثلون من الاستوديو كان يبدو عليهم الإرهاق والتعب؛ فهم منذ التاسعة صباحا بلا طعام وفي عمل مستمر.. إلا أنهم كانوا يشعرون أن ثمة عملا جيدا قد عملوا على أدائه، وأن الربع ساعة التي ظلوا طوال شهرين يعدون لها، سوف يتمتع جمهور التلفزيون بمشاهدة أحداثها.

مجلة (الدنيا) العدد (621) 25/1/ 1963

بعد أن أقامت حفلاتها على مسارح بروكسل ومدريد وباريس وأثينا

فرقة السيتمان الأمريكية في حلب

بقلم: عبد الوهاب الفتال

● اديب الشهباء الاستاذ سامي الكيالي يقدم فرقة «السيتمان» الى الجمهور .. ●

الموشحات الأندلسية، القدود الحلبية، الأغاني الشعبية البدوية... كل هذا التراث السوري العربي الخالد انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية، سُلّم إلى أيد خبيرة عالمة مجربة. سُلّم إلى أذواق معجبة مقدرة لعظمة الفن السوري، بعد أن سحرها هذا الفن بصفائه ونقائه وجودة تعبيرة وأدائه لنفسية الشعب وتقاليده وعاداته، وتفاعله مع الحضارة والتقدم والرقي. والقصة تبدأ هكذا...

الأمطار تحطل بغزارة، وبقايا ضباب رمادي تلسعها ريح مزمجرة فيبددها ويذهب بها إلى البعيد.. ومطار حلب المدني يبدو خالياً، إلا من عمال المطار وبعض المستقبلين من الرجالات الرسميين، وبعض عشاق النغم الراقي. وأربع طائرات كبيرة تنز بأصواتها في الفضاء الرحب لتهبط الواحدة تلو الأخرى في المدارج الضيقة الصغيرة. وفجأة تهبط مواكب من الشباب والجمال والسحر الحلال، من أبناء وبنات العم سام. ويهب الهواء مستقبلا فيتدثر الجميع بأرديتهم ويخفون وجوههم في معاطفهم. ويهبط من آخر طائرة وراء الجميع رجل في الستين من عمره. له لحية بيضاء وشعر أشيب. ويهرع مسرعا إلى المظلة الواقية التي اشتملت الجميع، ويخرج من جيبه وريقات يعطيها لأحد المجتمعين، ويسرع إلى السيارة التي أعدت لنقله إلى حلب، بينما يلتئم الجميع، الشباب المائة من رجال ونساء حول الرجل الذي تسلم الأوراق وينظرون باهتمام ودقة.

وليست هذه القصة بالمعنى المتعارف عليه، إنما هي ريبورتاج صحفي فيه بعض الإثارة، وفي بعض المعلومات التي تهم القارئ هنا. لذا أقول الهابطون من الطائرات هم فرقة السيتمان الأمريكية للهارموني، وهي أقدر فرقة موسيقية في العالم، وإن الرجل الملتحي صاحب الشعر الأشيب هو البروفسور "السيتمان" بنفسه، قائد الفرقة الموسيقية التي دوخت العالم بسحر أنغامها وألحانها العذاب... وإن الأوراق التي سلّمها البروفسور السيتمان لمساعده في المطار، تحتوي على توزيع بالهارموني لألحان النشيد القومي السوري، أعدها البروفسور في روما بالقلم الرصاص، ليحيّي بها شعب سورية لدى التقائه بأفراد من الفرقة من حلب. وفرقة (السيتمان) العالمية كان قد قررت إقامة حفلة واحدة في حلب وحدها، وذلك بعد أن أقامت حفلاتها على مسارح بروكسل ولوكسمبورغ ومدريد وباريس وليماسول وأثينا. والسؤال الآن يوجّه إلى البروفسور السيتمان بالذات: لماذا يخص حلب وحدها دون مدن الجمهورية السورية بحفلته؟ لماذا لا يقيم أخرى في حمص أو حماة أو اللاذقية أو دمشق؟!

ويأتيك الجواب بصراحة أمريكية: أعرف حلب قبل أن أزورها، حلب هذه عرفت أنها مدينة الموسيقى في العالم العربي، وأهلها لها أذن مرهفة ذواقة، وهي حكم على الموسيقى والمغنى والفنان. وقد جئتها بروحين، روح المتحدي الذي يريد أن يثبت ذاته وينتزع إعجاب المدينة التي يغشاها كل فنان، وروح الفنان الذي يريد أن يقدم فنه وهو واثق أن مستمعيه يفهمون ما يريد، من أجل هذا فضلت حلب على سائر مدن الجمهورية العربية السورية.

ويقول البروفسور السيتمان: الحقيقة أن في حلب جمهوراً يجيد الاستماع، ويجيد النقد، وكنت ألاحظ على الوجوه أثناء الحفلة التي أقمتها الانفعالات، والعوامل النفسية التي تعتمل في القلوب والمشاعر. كنت أحس أنني أمام شعب يفهم ويقدّر، ويستطيع أن يعجب، وهذا غاية ما يريده الفنان من جمهوره. وكان هذا الحديث يجري بيني وبين البروفسور السيتمان، بينما كان يستعد للنوم بعد حفلتين:

- أولاهما الحفلة التي قدمتها الفرقة لجمهور حلب على الثانية الأرمنية المركزية.

- الثانية الحفلة التي أقامتها حلب للفرقة في نادي السعد، لتقدم لأعضائها فيضا من التراث السوري، متمثلا بالسماح والقدود الحلبية والدبكة والموشحات، إضافة إلى أنواع المآكل الحلبية الشهيرة، كالكبة والمتبلات والمشهيات، انتهاء بالكنافة والبقلاوة ومختلف أنواعهما.

وخلال النهار كانت الفرقة بشباها وبناتها، قد زارت قلعة حلب التاريخية وأسواق المدينة المغلقة. وقلت للبروفسور السيتمان:

- الآن وقد استمعت إلى الألحان السورية والغناء السوري والرقص السوري، ماذا يمكنك أن تقول؟!

واعتدل الرجل ومد يده بانفعال ظاهر وقال:

أمجاد في أمجاد ما عندكم. السماح تعتبر برأيي "باليه" من طراز رائع بألوانه الزاهية ونغماته الوادعة وإيقاعاته التي تصل إلى شغاف القلب، والتي تعبّر أحسن تعبير عن معان ومغاز لها قيمتها. والدبكة هي تعبير شعبي رائع عن حيوية هذا الشعب وفعاليته؛ فأنا لا أعرف طبيعة الشعب السوري، ومن دبكته يمكنني أن أقول إن شعب سورية، شعب يقظ متحفز واع، يفهم الأمور بسرعة، ويعالجها بسرعة أكبر. وتدلني الدبكة السورية أيضا، على أن الشعب السوري شعب نشيط، عامل ومنتج، يستطيع أن يفعل في المجتمعات المجاورة وأن يفرض نفسه عليها. ويجب أن نلاحظ أنني نفسي أخذت بألحان "دبكتكم" السورية، ورحت أوقع برجلي نغماتها، وكأنني أريد أن أشارك الراقصين رقصتهم، وهذا يدلك على مدى فعاليتها. وقال لي: سأصنع من ألحانكم ورقصكم هذا أعجوبة يتحدث بها العالم. سأوزعها بالهارموني وسأجعل فرقتنا تعزفها في كل مكان، وسأقول إن هذه ألحان سورية ورقصات سورية.

مجلة (الجندي) 1962/1/9

المعهد العربي للموسيقى يفتح أبوابه لأول مرة والدراسة فيه مجاناً:

الخطوات الأولى نحو جيل موسيقي

بقلم: سهام ترجمان

عندما يتسلل المساء إلى المدينة، ينبعث النور من نوافذ القصر القديم الأنيق في حي الحلبوني في دمشق، معلنا بدء الحياة فيه. وتتناثر الموسيقى على بيوت الجيران، خفيفة تارة وعنيفة تارة. في حين عذبة وسلسلة، وفي أحيان شاذة ومتنافرة... والسر يختفي خلف جدران هذا القصر الذي سأحكي للناس قصته لأول مرة.

الأقدام الصغيرة تجتاز عتبة القصر بصمت وسعادة.. والأيدي الرقيقة الطرية تشد بعنف على المحفظة الجلدية التي تحمل أسرار صاحبها، وتفتح أبواب وتغلق أبواب.. وتنبعث الأنوار من الغرف، وتدب الحياة من جديد في البيانو والكمان والعود والقانون والفيولنسيل، ومن شقوق النوافذ المغلقة تتسلل موسيقى عجيبة، ليست من آلة واحدة، وليست من فرقة موسيقية كاملة، وليست من لون واحد. ونفهم من هذا التنافر في الأنغام أننا خارج جدران القصر. وأننا إما من الجيران أو من المارة في شارع الحلبوني. ونحاول أن نقرأ أسرار القصر، ونبدأ بقراءة العنوان المعلق على المدخل الرئيسي: "المعهد العربي للموسيقى"

150 طالبا وطالبة

هو أول معهد من نوعه في سورية، لأنه يعمل على خلق جيل من الموسيقيين في المستقبل لا يقلون أهمية عن مشاهير الموسيقيين في العالم. أنشأته وزارة الثقافة والإرشاد القومي، وبدأت فيه الدراسة في الحادي والعشرين من كانون الثاني عام 1962. لا يتجاوز عدد طلابه وطالباته المئة والخمسين، والدراسة فيه مجانية، وهو يؤمن عودة الطلاب الصغار إلى بيوتهم في نهاية الدروس في باصات خاصة.

لا يقبل المعهد الطالب دون سن السابعة إلا في بعض الحالات الخاصة جدا، والتي تدعمها موهبة الطالب ودراسته الفنية السابقة. ولا يقبل من هو فوق الثانية عشرة إلا في حال دراسة الطالب لمدة أربع سنوات سابقة، فيصبح قبول المعهد له في سن الخامسة عشرة أمراً استثنائياً. لقد تقدم لهذا المعهد ثمانمائة وخمسون طالبا وطالبة من طلبة المدارس الابتدائية والثانوية، لم يقبل منهم إلا صاحب الموهبة والذي يحمل استعدادا فنيا لدراسة الموسيقى، والذي بدأ دراسته الموسيقية في طفولة مبكرة، تحت إشراف الأهل والأساتذة والمختصين.

لقد اعتمدت وزارة الثقافة والإرشاد القومي على أساتذة الموسيقى العرب والأجانب المختصين في العلوم الموسيقية للتدريس في هذا المعهد، كي يشرب الطالب منذ طفولته من نبع الموسيقى الصافي، وكي يشرف على تعليمه وتوجيهه فنانون حقيقيون، غايتهم الأولى خلق جيل من أبنائنا وبناتنا يتذوق الموسيقى، ويتقن العزف الصحيح على كافة الآلات الشرقية والغربية. المهم أن يتعلم الصغار الموسيقى تعلما صحيحا، يقوم على دراسة وتمرين متواصلين.

معهد حلمت به الأجيال

يشرف على هذا المعهد الجديد الذي حلمت به الأجيال وراء الأجيال، فنان عربي شاب، وموسيقي من طليعة الفنانين في بلادنا، وهو الأستاذ صحلي الوادي.

كنا نشرب الشاي في غرفة المدير التي تعبق فيها رائحة الغليون الذي لا يفارقه لحظة، استعداد للقيام بجولة في أرجاء القصر المؤلف من ثلاثة طوابق. وأعطتني الجلسة نفحة من الجو الذي يغمر سكان هذا القصر الموسيقي، إن صحت الكلمة. دخل الأساتذة والأستاذات وتحدثوا مع المدير، وضحكوا وشربوا الشاي بسرعة، وإلى العمل فورا. فإن الساعة تقترب من النصف بعد الرابعة. لم تفارقهم ابتساماتهم، وعندما قال صلحي الوادي لإحدى أستاذات الموسيقى بلطف: "أنت متأخرة دقيقة" ابتسمت ثم حملت النوتات وبدأت في صعود السلالم بسعادة فصغارها ينتظرون. المحبة هنا تغمر الجميع، عالمهم عالم حلو، كعالم الأنغام العذبة، وكأني بالأنغام المنسجمة لا تنبعث إلا من هذه النفوس الطرية المحبة.

أريد أن أكشف سراً من أسرار هذا البيت، الذي يشرف فيه ربه على تربية الذوق الموسيقي الفني في نفوس أطفال صغار، تتحرك أناملهم على الأوتار، وتتركز عيونهم في الحروف الموسيقية، وتنمو مشاعرهم مع نمو السنين، ويتمطى مستقبلهم الفني معلناً وجود الموسيقار العربي في العالم. لقد بكيت وبلعت دموعي، عندما دخلت درسا من دروس الكمان، ورأيت الصغار يراقبون عزف أصغر زميل لهم تحت إشراف الأستاذ.

كان الصغير صفوان طرقجي (6 سنوات) يعزف على الكمان، عينه لا ترف عن النوتة الموسيقية أمامه، والقوس في يده، يلعب على الأوتار، ويخرج اللحن صحيحا كاملا، كما تدل على ذلك ملامح الأستاذ وإيماءات رأسه وحركات أصابعه. وأكثر من هذا، فقد كانت ضربات قدمة اليمنى على الأرض ضربات منتظمة، تستمر ثم تقف، إشارة بالغة لمن لا يفهم شيئا من الموسيقى مثلي، بأنها كانت تساعده على تحديد التوقيت الزمني لفترة الصمت الموسيقي الذي يبدأ بعد عزف الكمان.

وخرجتُ كما دخلت والصغير تائه عني وعن أنوار آلة التصوير، مستغرق كلية في أداء واجبه الفني. وفي كل درس كنت أدخله بمرافقة مدير المعهد، كانت تنتظرني دمعة مختنقة. ما هذا الذي أراه وأسمعه؟ كيف تعلم هؤلاء الصغار كل هذا؟ كانت الصورة تتكرر في كل درس. وفي الصالون الذي تطل عليه غرفة الدروس الموسيقية، وقفت فترة دون أن أتكلم، أستمع إلى الألحان المتنافرة من هنا وهناك، تتسلل عبر الأبواب، تؤكد لي أن موهبة الإنسان هي التي تقود مستقبله، عندما تمتد إلى هذه الموهبة الأصيلة يد ماهرة، تشذبها وتصفيها وتعلمها وتنميها، وتدلها على الطريق، وتتركها وحدها لتشق طريق الإبداع والخلق. إنني أسمع الآن سيمفونية المستقبل المنسجمة من خلال هذا التنافر الصارخ... ولكن هل سأسمعها حقيقة؟!

صلحي الوادي: هدفنا الموسيقى كثقافة

قال لي الأستاذ صحلي الوادي: الموسيقى تصدر عن العقل والروح، ونحن مع الأسف الشديد نعتقد أن الموسيقى نوع من التسلية، وشيء يرافق ساعات لهونا أو راحتنا في الملهى أو في الباص أو في الشارع.

هذه النظرة إلى الموسيقى أساءت للتطور الموسيقي في بلادنا، وأصبحت شيئاً ثانوياً لا قيمة له. أنا أتكلم عن معظم موسيقانا، ولا أنكر عظمة بعض الموشحات والسماعيات والبشارف القديمة. تسألينني عن هذا المعهد وأقول لك إن الفرق بيننا وبين المعاهد الأخرى هو نظرتنا إلى الموسيقى. مثلا اطلعت مرة على برنامج فني أعده أحد المعاهد الموسيقية، فوجدته برنامج رقص وأغنيات. وأنا لا أعتقد أن معهدا للموسيقى، يحرص على تطور الموسيقى في هذا البلد، يتبنى هذا اللون من البرامج الترفيهية التي تستطيع تقديمها أية مؤسسة للترفيه أو أية "كباريه". المؤسسة الثقافية لا يمكن أن تتبنى هذا اللون وتقدمه باسمها، وأريد أن أقول إنّ الموسيقى كثقافة هي هدفنا بالذات. وأعتقد أن رجلا يكتب الزجل المحلي، لا يمكن أن يقارن بسوية الشاعر المطلع، الذي يكتب بلغة جيدة وبأفكار إنسانية كبيرة. وهذا شيء ينطبق على كل الفنون.

والدعوة لاطلاع الفنان أحيانا تواجه الاتهام، بأن الفنان يفقد شخصيته ويصبح تبعياً. وهذه فكرة خاطئة لأن الفن الجيد باعتراف كل إنسان يقدر الفنون، هو الفن الذي يتطلع إلى الإنسانية بأجمعها، ولكنه يحتفظ في الوقت نفسه بلهجته الخاصة به. فالموسيقى لغة عالمية، وإذا استطعت أن أتكلمها بلهجتي العربية، عندها أستطيع أن أخلق فنا عالميا وخاصا بنا نحن.

وأكد لي الأستاذ صلحي الوادي أن الموسيقى العربية بلغت الأوج في الماضي، وضاعت في بعض العصور أية موسيقى أخرى، وخاصة في العصر العباسي الذي بلغ فيه العلم الموسيقي الذروة. وإذا أردنا أن نبحث عن هذه الموسيقى وجدناها مع الأسف في متاحف الغرب ومكتباته نجدها في قاموس (جروف) وهو معجم عن الموسيقى باللغة الإنكليزية، ونجدها في مؤلفات البارون (دي لانجيه) الفرنسي الذي اهتم بتاريخ الموسيقى العربية، وكتب مؤلفا من ستة أجزاء كبيرة عن الموسيقى العربية، والجزء الثالث منه عبارة عن ترجمة للفارابي، والجزء الخامس عن الموشحات والسماعيات. لقد بحث المستشرقون عن آثارنا الزاهرة، عن تاريخ موسيقانا المجيد، بينما نحن في الوقت الحاضر نأخذ من التيارات التي تمر علينا أسوأ ما فيها. فأخذ كل ما هو سهل، نتقرب إليه بسرعة، وكل ما يحتاج إلى تعب ودراسة نبتعد عنه وننكمش كالعنكبوت.

فخري البارودي صاحب الفضل الأول

ولما سألته عن تاريخ تفكيرنا بإنشاء معهد موسيقي لبعث الثقافة الموسيقية الصحيحة في نفوس أبنائنا، قال بأن هذا التاريخ يرجع إلى ثلاثين سنة إلى الوراء، ويعود الفضل فيه إلى الأستاذ فخري البارودي الذي طالب فيه المجلس النيابي وقدم استقالته من المجلس في سبيل إنشاء معهد للموسيقى. ثم برزت فكرة المعهد الموسيقي الشرقي، وتحققت الفكرة وتتابع على إدارة المعهد أشخاص إداريون، إلى أن استلمه كامل قدسي كأول مدير موسيقي. وأخفقت الفكرة بسبب نظام المعهد الذي يسمح لأي طالب بالانتساب لممارسة الهواية الموسيقية، وظلت الفكرة موجودة إلى أن وجدت وزارة الثقافة والإرشاد القومي عام 1960، وتم افتتاح المعهد العربي للموسيقى عام 1962.

مجلة (الجندي) العدد 586 1963/1/1

اعتمدت وزارة الثقافة على أساتذة الموسيقى العرب والأجانب المختصين بالعلوم الموسيقية للتدريس في هذا المعهد

الحصاد الثقافي لعام 1962:

عَامُ القِطَافِ الفنِي

بقلم: نجاة قصاب حسن

لم يسبق لسورية العربية أن رأت مثل عامنا الذي مضى في النشاط الفني. إن 1962 ستدخل في تاريخ النهضة الفنية بوصفها سنة القطاف الأول. ففيها تأكدت الشخصية الفنية السورية على جبهة الإبداع كلها وفي المحيطين العربي والعالمي على السواء. وفيها بدا التقدم واضحا ووطيدا في كمية الأعمال الفنية وفي سوية هذه الأعمال. وفيها تحققت نهضة تشمل الفنان والجمهور والناقد والشروط المادية للعمل الفني.

قدم المسرح الشعبي ثلاث حفلات من مسرحية (بيت للإيجار) لحكمت محسن لسجناء سجن دمشق

تم وضع مشروع كامل لإحداث مؤسسة سينمائية ترعى النهضة المقبلة في الصناعة السينمائية

ونحن إذ نواجه العام المطل بالمشاريع والآمال العريضة، نصنع حسناً إذا التفتنا قليلا إلى العام المنصرم نظرة شاملة، لأنها نظرة مشجعة، غنية بالدروس، تنير أمامنا دربا تقود إلى مزيد من المكاسب في الميدان الحضاري الجميل، ميدان الفنون

الفنون التشكيلية

في 1962 خطت الفنون التشكيلية (الرسم والنحت) والتطبيقية (التصوير والخط والزخرف والصناعات اليدوية) خطوات كبيرة إلى الإمام. فقد أقيم في دمشق وحدها اثنان وثلاثون معرضا بينها أربعة معارض عامة (معرض الربيع، معرض الخريف، معرض الفنون التطبيقية، معرض المعهد الأهلي للمكفوفين) وستة عشر معرضا فنيا للفنانين: (أحمد دراق السباعي وندرة مشاقة ولؤي كيالي وشريف الراس والياس زيات وعبد القادر الناب وهشام زمريق وأنطون فرح وعلي عيسى وفدعان دندشي وطالب اليازجي ونزار قطيفاني وعبد المنان شما وحزقيال طوروس وميشيل كرشة ونوبار صباغ) واثنا عشر معرضا أجنبيا (التصوير الإنكليزي، والإعلان البولوني والكتاب الهنغاري، وبينيلوبي فلمنغ الإنكليزية، وريمو ريموني الإيطالي، وطاغور، والمعرض الهندسي البولوني، ومعرض الطوابع الرومانية، والفن اليوغسلافي الحديث والمعرض الهنغاري).

وجرت هذه المعارض في المتحف الوطني والمركز الثقافي وصالة الفن الحديث والنادي العربي والحلقة الاجتماعية وفندق الشرق ومقر الجمعية السريانية. كما نقل عدد من هذه المعارض إلى المدن السورية المختلفة، وكان يرتاد هذه المعارض عشرات الألوف من المواطنين.

جوائز إيطالية دولية

وكتبت إلينا سفارتنا في روما أن منظمي جائزة الرسم الدولية (سان فينو رومانو) دعوا إلى الاشتراك في هذه المسابقة، ثلاثين فنانا رسموا لوحات مستوحاة من المكان الذي انعقدت فيه المسابقة، وقد فاز بالجائزة الأولى الفنان السوري رولان خوري، وبالجائزة الثانية حوامل عبد القادر الجزائري، وبالثالثة العراقي اسماعيل فتاح. كما نال كل من الفنانين السوريين جوليان قطيني وعبد المؤمن صفوة دبلوما فخريا، ومحمود دعدوش ميدالية فضية، وخزيمة علواني وفيصل عجمي ميدالية برونزية. وفي هذا تأكيد لنبوغ الفنانين السوريين.

على جبهة المسرح

وفي العمل المسرحي شهد العام 1962 حدثا هاما هو افتتاح مسرح جديد، أطلق عليه اسم رائد المسرح العربي المرحوم أبي خليل القباني. وقدمت على هذا المسرح من أيار حتى نهاية العام نحو مئة حفلة، بينها ستون حفلة قدمها المسرح القومي، وعرض فيها ست روايات مسرحية عالمية من تأليف إبسن وموليير وغوغول وأوسكار وايلد وبرناردشو وروبرت توماس، وثلاثون قدمها مسرح العرائس، وعشر قدمها مسرح الفن الباريسي باللغة الفرنسية، والمسرح الألماني بالألمانية، والمسرح الجامعي اللبناني بالفرنسية، فضلا عما أقيم على هذا المسرح من الحفلات الموسيقية

المسرح القومي

وكان موسم المسرح القومي يجري تحت شعارات مدروسة منها دقة الأداء، ومنها التدرج نحو العمل المستمر اليومي. ولتأمين الناحية الثانية كان لابد من تعويد الجمهور على الإقبال على المسرح بإعادة الثقة إليه بمستوى العمل المسرحي في بلادنا. وقد سجل المسرح القومي نجاحا ملموسا في هذين الميدانين.

المسرح العسكري

وفي نفس التوقيت قدم المسرح العسكري عددا كبيرا من الحفلات للجمهورين العسكري والمدني على صالته الخاصة، والفرقة توطدت وصار لها كيان ثابت من الممثلين المحترفين ذوي السوية الجيدة.

الأندية الخاصة

وقامت الأندية الخاصة بمجهود في نطاق العمل المسرحي، فالمسرح الحر قدم عددا من الروايات، وندوة الفكر والفن قدمت روايتي يوليوس قيصر وتاجر البندقية لشكسبير، ورجل الأقدار لبرناردشو. وتألفت فرقة باسم المسرح الكوميدي بين مؤسسيها الفنان عبد اللطيف فتحي، ولكن مجهود أكثر الفرق الخاصة ظل أسير المشاكل العديدة التي تتعرض لها، وهي ضعف إمكاناتها المادية، وقلة المسارح الصالح للعمل، وعدم كفاية العناصر القوية في ميدان العمل المسرحي، وضخامة المجهود الواجب بذله حتى يستطيع الهواة أن يقدموا عملا في سوية جيدة

مسرح العرائس

أما مسرح العرائس، هذا المسرح الجديد الناشئ في بلدنا، فقد قدم في موسم 1962 ما يزيد على مئة حفلة شهدها ما يقرب من عشرين ألف طفل، بعضها على مسرح القباني وبعضها في معرض دمشق، وبعضها في صالات المدارس. وقد بدأ مسرح العرائس يقدم حفلاته للأطفال في المدارس الرسمية الخاصة بسعر رمزي هو عشرة قروش سورية للطفل، مع إعفاء عشرة بالمئة من الأطفال من رسوم الدخول حتى لا يحرم صغير من مشاهدة هذا المسرح التربوي الجميل.

مسرح الفنون الشعبية

في دمشق الآن فرقتان للفنون الأولى فرقة التلفزيون العربي السوري، وقد تألقت في عدد من الحفلات قدمت فيها برنامجين جديدين الأول مسرحية (مساعد المختار) والثاني (المندل).

والفرقة الثانية مسرح الفنون الشعبية في وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الذي قدم حفلات قليلة في دمشق وحفلات أكثر في حمص وحلب والقنيطرة والسويداء وقطاعات الجبهة. كما قام برحلتين مظفرتين إلى الجمهوريتين العربيتين الشقيقتين: تونس والعراق.

الجائزة الأولى في عيد المرجان

ففي تونس فاز مسرح الفنون الشعبية في مهرجان (عيد المرجان) بالجائزة الأولى، وقدم ثماني حفلات في طبرقة وصفاقس والقيروان وسوسة والعاصمة تونس، بلغ عدد متفرجيها ما يزيد على ثلاثين ألفاً بينهم آلاف من الجزائريين الذين قدموا خصيصاً لحضور حفلات المهرجان الذي أقيم على الحدود التونسية الجزائرية.

كما أذيعت حفلات المسرح كلها من الإذاعة التونسية، فسمعها الملايين من أبناء المغرب العربي.

مهرجان بغداد والكندي

وفي العراق قدم مسرح الفنون الشعبية ثلاث حفلات كبرى، أذيعت مباشرة من الإذاعة والتلفزيون العراقيين على جميع الموجات، فشهدها مئات ألوف العراقيين، وضيوف العراق القادمين لمناسبة المهرجان الألفي لبغداد وفيلسوفها الكندي، وقدمت للمسرح على إثرها ميدالية المهرجان.

ويستعد مسرح الفنون الشعبية الآن، بالتعاون مع المسرح الفتائي في وزارة الثقافة، لإخراج أوبريت بعنوان وردة، يرتفع فيها الفن الشعبي من نطاق اللوحة، إلى الموضوع المتكامل، وتدخل فيها الرقصات الشعبية في نطاق التعبير الحركي، وهو بداية للباليه القومي.

المهرجانات الفنية

وقدمت الفرق الشعبية في القرى السورية، الممثلة لأجمل تقاليد الريف، رقصاتها الشعبية في مهرجانات الجلاء في دمشق، ومهرجانات القطن في حلب، والشمندر في حمص، والكرمة في السويداء، والتفاح في القنيطرة. وكانت هذه المهرجانات مناسبات لتنشيط الفن الشعبي وفرقه من أقصى الشمال في منطقة الخابور، إلى أقصى جنوب حوران وجبل العرب.

المسرح الشعبي

ونشط المسرح الشعبي فقدم رواية (بيت للإيجار) من تأليف حكمت محسن، وهي رواية شعبية ممتازة تعالج أزمة السكن، وذلك في عشر حفلات أقيمت في دمشق، ثم في نحو عشرين حفلة أقيمت في قطاعات الجبهة ومختلف المدن السورية، لمناسبة يوم الجيش العربي السوري، بدعوة من إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي، وفي ثلاث حفلات قدمت للمساجين في سجن دمشق فبلغ من شهدها عشرات الألوف. ويستعد المسرح الآن لجولة جديدة بروايات جديدة يطوف بها القرى والأحياء الشعبية.

النشاط السينمائي

في 1962 أنتج قسم السينما في إدارة الشؤون العامة والتوجيه المعنوي سلسلة من الأفلام الإخبارية بمعدل فيلم واحد في الأسبوع، واستكملت الأدوات اللازمة للاستديو الذي أقامته في دمشق وجرى افتتاحه رسميا.

وفي هذا العام اشترك قسم السينما في وزارة الثقافة والإرشاد القومي في مهرجاني بيروت وبرلين للسينما بفيلمي أرواد ودمشق. وأنتج بضع حلقات من سلسلة أخبار الثقافة لتغطية النشاط الثقافي في سوريا، بالإضافة إلى فيلم (الفنون التطبيقية في سوريا) وهو ثقافي إخباري، وفيلم (الآثار العربية في سورية).

كما أرسلت نسخ من أفلامنا إلى سفارات أجنبية عديدة. وفي عام 1962 أنتج زهير الشوا فيلم (الوادي الأخضر) وعرضه، وتم وضع مشروع كامل لإحداث مؤسسة سينمائية ترعى النهضة المقبلة في الصناعة السينمائية، وتشجع الرأسمال في القطاع الخاص لدخول ميدان السينما.

ثورة في إذاعة الجمهورية العربية السورية!!
سيرا التخطيط وجمود.. دينامو «لا يتعب»...

دور جديد في إذاعة دمشق

تحقيق: جان ألكسان

حرق الرجل خلال الشهرين الماضيين أكثر من مئتي علبة من دخان (لوكي سترايك)، ومع السجائر المستشهدة واحدة تلو الأخرى كان التخطيط الجديد لبرامج الإذاعة السورية يتّخذ صفة الهيكل المدروس، ويأخذ طريقه مادة بعد مادة إلى التنفيذ، ثم إلى آذان الناس في بلدنا وفي بلاد العالم

● صبحي المحاسب ●

الرجل.. صبحي المحاسب.. فنان يؤمن بالثورة المدروسة التي تخرق المراحل، ولكن ليس لتصل إلى فراغ، لا شيء.. بل لتكون قد هيأت للمستقبل المزيد من الوقود الصافي لدفع العجلة إلى الأمام.

ولسنا في هذا التحقيق اليوم، في موقف الذي يغفر ويستغفر، ولكنه الدم الجديد في إذاعتنا. الثورة الجديدة.. يجب أن تحدث الناس عنه وعنها، حتى يعرف المستمع حقيقة الذي حدث، وحتى نقول ما للإذاعة وما عليها.

نقاط.. وحروف

كان للمتتبع لما تكتبه الصحف السورية كلّما عن الإذاعة والتلفزيون، حديثٌ أخرّ ذو شجون. يجد أن الانتقادات تنصبّ عليها من كل مكان، وكانت الاتهامات تنحصر في الأمور التالية:

- سير الإذاعة في روتين واحد لا أثر فيه للتجديد ولا لمسايرة التطور
- فتح الأبواب أمام أناس دون آخرين من أصحاب الإمكانات والمواهب الأصيلة.
- سيطرة بعض الأشخاص على شؤون الإذاعة وبرامجها وقطعهم الطريق على أية رجل (غريبة).
- اتّباع أسلوب (التنفيعة) في أكثر من مجال.
- احتكار عدد كبير من البرامج من قبل العاملين في شتّى دوائر وشعب وأقسام الإذاعة.
- ضعف إذاعتنا أمام التطوير الجديد الذي طرأ على كل الإذاعات العربية الأخرى..
- عدم وجود أيّ تعاون بين إذاعتنا وبقيّة الإذاعات العربيّة..
- استغلال بعض الموظفين لمراكزهم في فرض آرائهم وأذواقهم على البرامج
- إهمال فنّانينا السوريين وإهمال نتاجهم
- عدم تنظيم استخدام الموجات في توجيه البرامج..
- عدم مراعاة الأوقات المناسبة في تنسيق البرامج..

وإذا درسنا هذه النقاط التي تدين إذاعتنا، نجد أنّ المشكلة في واقعها ليست مشكلة موظفين يسيئون، بدليل أنّ جميع هؤلاء الموظفين لا يزالون في مراكزهم الحساسة، كما أنّ أصحاب البرامج من موظفي الإذاعة لا يزالون يقدّمون برامجهم.. فماذا يحدث إذن؟!

- يدافع المسؤولون عن البرامج، قبل صبحي المحاسب ضدّ نقاط الاتهام التي وضعناها أمامهم بقولهم:

من المعلوم أن إذاعتنا (رسمية جداً) بمعنى أن المسؤول الفني فيها سيصطدم حتماً مع المسؤول الإداري أو السياسي، إذا حاول أن يعتمد ذوقه الفنّي في تسيير الأمور.

ولهذا فإنّ المسؤولية الأولى تقع على المسؤولين الكبار، على المدير العام والأمين العام والوزير بل ومجلس الوزراء..

فإذا فرضت الظروف السياسية أن يكون وزير الإعلام مثلاً أو المدير العام، رجلاً يفهم في كل الأمور إلا أمور أجهزة الإعلام، ثم كان لدى هذا الوزير أو هذا المدير صلاحيّة فرض حتى الأغاني التي توافق مزاج صديقة زوجة ابن أخت صديقة ابن عمّه، وفرض هذه الصلاحية فماذا يستطيع الموظف المسؤول أن يفعل؟ وهل يستطيع أن يخالف الأوامر!

ثمّ إنّ تبدّل المسؤولين السريع في هذه المؤسسة جعل أيّ تخطيطٍ للبرامج والأمور، عرضةً للنسف من جذوره بجرّة قلم.. ذلك لأنّ من يقرّر الأمور شخص وليس لجنةً مختصّة.

نحن نقبل مبدئيّاً بهذا الدفاع وكنّا على اطّلاع مباشرٍ حول كلّ هذه الأمور، وكشفنا في تحقيقات ومقالات سابقة أكثرها، ولكنّ هذا لا يعني أنّ الخطأ يجب أن يستمرّ... وأنّ مأثورنا يجب أن يكون تواكلاً يائساً، فنردّد في كلّ مرّةٍ يُطرَحُ أمامنا هذا الموضوع: (عوجا.. ما بتجلس).

إنّ مهمّتنا جميعاً موظّفين في الإذاعة، وكتّاباً في الصحافة، ونقّاداً في المجال الفنّي، وفنّانين على المسرح أو أمام الشاشة، واجبنا جميعاً أن نضع أيدينا على الجرح، ونصارح أنفسنا بالحقائق، ونعترف بالخطأ، ونحاول أن نتخلّص من تركته الثقيلة لنسير في ميدانٍ جديد.

مع صبحي المحاسب

أخيراً.. ارتأى المسؤولون أن يتسلّم صبحي المحاسب مهام الإشراف على برامج الإذاعة.. فله من ماضيه في وزارة الثقافة، ومن عمله الباهر الذي حقّقه بإنشاء فرقة (أوركسترا) سوريا من أكثر من مئة شخص والتي كانت ضحيّة مؤامرة سلطات القاهرة، ما يؤهّله ليكون أهلاً لحمل همّ الإذاعة. جاء الرجل وقبل أن يتسلّم المهام انصرف إلى التخطيط، فوضع مخطّطاً عامّاً لتعديل برامج الإذاعة... ثمّ بدأ ينفّذ برنامجه. فهل نجح في مهمّته؟!

إنّنا نستعرض عمله ثمّ نجيب على هذا السؤال.. ونضع أمامه ما لدينا من ملاحظات مؤكّدين أنّنا نؤدّي واجبنا في كشف الأمور، ولا نسير في موكبٍ يهزج لصبحي المحاسب، لأنّ هذا ليس من شيمنا والحمد لله.. ونحن لا يهمّنا الشخص قدر ما يهمّنا عمله.

حديث التنسيق

قال لنا يوسف حيدر رئيس مكتب التنسيق في الإذاعة إنّ ثورة الإذاعة الجديدة قامت على خطوات مدروسة منها:

- إلغاء بعض البرامج القديمة المستهلكة
- حذف الأغنيات المائعة.
- تقديم برامج قويّة جديدة
- تحديد نشرة الأخبار بربع ساعة فقط أو أقل..
- إدخال فواصل من الموسيقى الخفيفة لتعويد المستمعين على تذوّق الموسيقى
- قلب الطريقة المملّة التي كانت تتّبع سابقاً في تقديم الأحاديث والبرامج الفكريّة، بحيث أصبح التقديم حواريّاً، أو بشكل ندوةٍ أو مناقشة، وبمرافقة الموسيقى، وقد أعطت هذه الطريقة نتيجة باهرة.

عامل التخطيط

وسألنا يوسف حيدر: إلى أي شيء تعزو نجاح الحركة الجديدة لتنسيق البرامج؟..

- السبب هو التخطيط، لقد كان مفقوداً في السابق، وأصبح الآن العنصر المسيطر على البرامج.

- وهل تذكر لنا بعض الأمثلة؟

1. أكثر المواد الكلاميّة من نشرات الأخبار وأقوال الصحف والزوايا الكلاميّة، يقدّم في الربع بعد كلّ ساعة..
2. ركن المرأة أصبح يوميّاً ومتطوّراً
3. في الساعة 11 نهاراً برامج ترفيهيّة من مكتبة الإذاعة.
4. في الساعة 12 ظهراً تُبثّ تمثيليّة شعبيّة جديدة..
5. في الساعة 12'15 يوميّاً تبثّ ركن فلسطين، وكان أسبوعيّاً

وأنا أوردتُ هذه البرامج على سبيل المثال لا الحصر، ومن مراجعةِ لهيكل البرنامج العام الذي نشر في أكثر صحفنا اليوميّة نستطيع أن ندرك أنّ هذه الروح الثوريّة الجديدة كانت جذريّةً بحيث شملت جميع البرامج والأركان

● اسعد كامل الياس .. وحصة منيف : دائرة النشر ●

● عواطف الحفار اسماعيل ●

● تيسير السعدي ●

● نجاة الجـم ●

والزوايا معتمدة على تخطيط مدروس..

أما بالنسبة لشهر رمضان، فإنّ البرامج التي أعدّها التخطيط الجديد برامج قويّة، وحافلة ومتنوّعة، فيها الجديد المبتكر والظريف.

وأذكر من الجديد:

- برنامج (رحمة للعالمين) وهو مسلسل في 30 حلقة يروي قصّة السيرة النبويّة الشريفة.

- برنامج (صندوق الدنيا) وهو ترفيهي جديد

- برنامج (مع الطفيليّين) في 30 حلقة.

- برنامج (أنا صايم)، مسلسل في ثلاثين حلقة، وبرنامج (رمضان كريم) في ثلاثين حلقة من الأحاجي المسلّية التي يطلب معها لتمنح جوائز للفائزين في نهاية الشهر.

- وبرنامج (أبو زيد الهلالي) مسلسل في ثلاثين حلقة جديدة يقدّم كلّ يوم في رمضان ولأوّل مرّة، ثمّ جولة المايكروفون في خمس عشرة حلقة لأم كامل، و(مسرح الفكاهة) في خمس عشرة حلقة مسلسلة (لأبو رشدي)..

ثمّ (صفحة من نور) وهو حديث ديني يقدّم مع الموسيقى، بالإضافة إلى تلاوات القرآن الكريم والأحاديث الفكريّة حول رمضان والأغاني العربيّة.. ثمّ بقيّة البرامج والأركان الثابتة في الدورة الإذاعيّة

البرامج الموجّهة

وبالإضافة إلى البرنامج اليومي الموجّه إلى المغرب العربي خلال ساعة منتصف الليل، فإنّ هناك برنامجاً يومياً موجّهاً إلى أمريكا اللاتينيّة مدّته ساعة ونصف الساعة، والمسؤول عنه هو جورج سالم سيف.. وقد قلنا له: أليس الوقت المخصّص للبرنامج قليلاً بالنسبة لمثيله في الإذاعات العربية الأخرى، مع أنه أقواها؟

- هناك رغبة لدى المسؤولين بزيادة مدته إلى ثلاث ساعات يومياً اعتباراً من أول الشهر... وهو برنامج يومي يقدم باللغتين العربية والإسبانية ويحتوي على العديد من المواد الثقافية والترفيهية.

- وما هو جهاز المذيعين الذي تعتمدون عليه؟

بالعربية: مازن النقيب، وعصام عبد الرحمن، وزهير قدورة ووجيه السراج. وبالإسبانية: جورج ناصر، واولغا بريدي، وعمر الشيخ، وشكيب سالم، وماريا لاكارا. وبالبرازيلية: ماريا اليشاندري براون.

جولة سريعة

وقبل أن نلتقي مرة ثانية بصبحي المحاسب صاحب الثورة الجديدة في الإذاعة، لابد من جولة سريعة على دوائر الإذاعة وشعبها وأقسامها.

● في دائرة النشر عدد من الجنود المجهولين هم دائماً وراء الأخبار..

رئيس هذه الدائرة الأستاذ نسيب الاختيار.

ورغم ضيق المكان وعدم توفر الشروط الصحية الملائمة في الغرفة التي تضم موظفي هذه الدائرة فإنها كانت دائماً أهلاً للمهمة الملقاة على عاتقها.

● مديرية التشغيل: رغم كل الهزات التي تعرضت لها الإذاعة فإن هذه المديرية ظلت تعمل (مثل الساعة). سيما في الأيام والأوقات الحرجة، فقد كانت تؤمن تحديد مواعيد البرامج وتسجيلها بالإضافة إلى التنفيذ والمراقبة والصيانة والبث.

والذي وقف على ما بذله عدنان نحلاوي المشرف على مكتب هذه المديرية من جهود في تسيير المعاملات والأجور، يدرك أهمية هذا المكتب عندما يكون على رأسه موظف مخلص لعمله.

● الإذاعات الأجنبية: القسم الفرنسي تشرف عليه عادلة الشمعة، وهو من أنجح الأقسام الأجنبية في الإذاعات العربية. أما القسم الإنجليزي فيقدم بجهود طيبة يبذلها محمود الخاني، والقسمان يؤديان المهمات على أفضل الوجوه. هذا بالإضافة إلى القسمين العبري والتركي اللذين يذيعان يومياً.

● أفراد الكورس نجدهم شتاءً تحت رحمة الأنواء والأمطار والبرد، وفي الصيف تحت رحمة السماء وليس لهم من مكان يجلسون فيه.. ومع ملاحظة أن عددهم زيد قبل مدة على طريقة (التنفيعة) لأن أكثرهم لا يعمل.

● دائرة وشعبة المذيعين: رئيسة الدائرة السيدة عواطف الحفار إسماعيل، ورئيس الشعبة فؤاد شحادة.. ويقول الأخير: أن أهم مشكلة تواجهني هي توزيع فترات المذيعين. أما مذيعات ومذيعو اللغة العربية في هذه الشعبة فهم السيدات والسادة: سكينة نعمة، فردوس حيدر، نجاة الجم، امتثال السمان، رجاء الزين، سميحة مخلص، زهير الأيوبي، عصام الشريف، منير الأحمد، سمير رفعت، مروان شيخو، هانل اليوسفي، عادل صلاحي، ورفيق الياسو، وأكرم زريع.

● المراقبة الفنية تقوم بجهود محمود رضوان.

● ديوان الإذاعة يشرف عليه عبد الهادي مبارك، ومكتبة الإذاعة تشرف عليها السيدة عزيزة هارون.

● شعبة التسجيل: يرأسها بشير زرزور. تعمل من الصباح الباكر حتى ساعة متأخرة من الليل، وهي بمثابة (الدينامو) الحيوي لأعمال الإذاعة.

● شعبة المنوعات: برئاسة تيسير السعدي.. وقد أوكلت إليه مهمة هذه الشعبة مؤخراً، وإن كان هو الوحيد الذي يصلح لها بين العاملين في هذا الحقل الإذاعي.

وقد أعدت هذه الشعبة عدداً ضخماً من البرامج المنوعة الناجحة بمساعدة أربعة مخرجين تعتمد عليهم الإذاعة في إخراج جميع برامجها وهم: مروان عبد الحميد، فاروق حيدر، فائق مغيزيل، ومحمد صالحية..

● شعبة الموسيقى: يرأس هذه الشعبة يحيى السعودي، ويعاونه كل من تيسير عقيل ورفيق شكري.

حديث الأرقام

وأخيراً، هو صبحي المحاسب يتحدث بطريقته المعروفة، طريقة المصارحة والأرقام: المدة كانت أقل من شهرين، وقد تم في الإذاعة بالإضافة إلى الأمور التي تكلم عنها رئيس رئيس مكتب التنسيق ما يلي:

● تخطيط شامل للدورة الإذاعية الحالية، وللدورات الإذاعية القادمة، لأن الدورة الإذاعية من أهم الأمور التي يجب أن يعتمد عليها التخطيط الجديد.

● شكلنا أوركسترا غربية و(تخت شرقي) وفرقة منشدين، والفرق الثلاث ستعطي نتائجها في وقت قريب جداً.

● أنشأنا في إذاعتنا البرنامج الثاني يومياً ولمدة ثلاث ساعات بين التاسعة ومنتصف الليل على موجة إضافية لتقدم منها الأبرات والمسرحيات العالمية والشعر والمواد الفكرية والسينفونيات..

● أوقفنا الأغنيات المحلية نسبياً لفترة قليلة ريثما يتم تنظيم تسجيلها وإذاعتها..

● أحيينا عدداً من الموجات التي لم تكن تستخدم قبلاً.

● فتحنا الأبواب والفرص أمام المواهب الأصيلة، واعتمدنا على أقلام الكتاب المجيدين في ثورة الإذاعة الجديدة.

● بلغ مجموع الحلقات التي سجلت خصيصاً لشهر رمضان وحده 986 حلقة عدا البرامج المسجلة.

● لا نزال نؤمن بأن معمتنا صعبة وبأننا بحاجة إلى مزيد من التخطيط والتركيز حتى نحقق أهدافنا كلها.

وبعد...

هذه هي إذاعة دمشق اليوم.. هذا هو الدم الجديد الذي رُزقت به. هذه هي ثورتها الجديدة التي نأمل أن تؤدي مهمتها بإخلاص حتى النهاية.. ولابد في نهاية التحقيق من أن تسوق هذه الملاحظات:

● من الأفضل ألا يعطى للشخص الواحد أكثر من برنامج.

● هناك بعض البرامج المتشابهة ويجب أن تعدل أو يلغى بعضها.

● الأغاني المحلية والاسكتشات يجب أن ينظم أمرها بحيث لا يضيع اللون المحلي لفننا العربي السوري.

● أن يعهد بالإخراج إلى المخرجين المختصين فقط.

● أن يستمع قسم الاستماع إلى كافة ما يسجل من البرامج قبل بثها.

● أن يكون هناك مكتب للدراسات ولتعديل النصوص يتبع مديرية البرامج، بحيث يدرس النصوص التي تقدم ويقوم بدراسة لكافة شؤون الإذاعة، وقد علمنا أن عصام الشريف قدم اقتراحاً بهذا الأمر لم يبت فيه بعد.

إننا نحيي جهود صبحي المحاسب.. ونعرف أنه يقبل جميع الملاحظات المخلصة التي تريد الخير للإذاعة، ولا بأس من أن نخرق المزيد من السجائر والأعصاب ما دام في عملنا خير للوطن ولصوته الذي نريده قوياً صافياً مدوياً في كل مكان.

مجلة (الدنيا) 1963/2/8

● من جناح الاشرطة والاسطوانات ●

كتاب يُقرأ

تأملات سياسي سوري وشاهد عيان على المرحلة:

(يوميات الانفصال أسرار ووقائع في سورية) لفهمي محايري: الوجه الآخر لتجربة الوحدة

(يوميات الانفصال أسرار ووقائع في سورية)
كتاب صدر في بيروت عام 1998 للمحامي والصحفي الراحل فهمي المحايري أحد رجال الحركة الوطنية السورية، وأحد رواد العمل القومي منذ ثلاثينيات القرن العشرين، وفيه يدوّن يوميات ما بعد انهيار الوحدة السورية المصرية موضحا الكثير من المواقف والملابسات التي رافقت تجربة الوحدة، ثم مبررات حركة الانفصال التي كان - ببساطة – مؤيدا لها!

جرأة وتاريخ حافل!

المخرج التلفزيوني سامر المحايري (ابن شقيق الكاتب) والذي كان وراء تحقيق الكتاب ونشره يوضح في تقديمه للكتاب، موقع فهمي المحايري ودوره في الحركة الوطنية والسياسية السورية في أوج ازدهار العمل السياسي وفعاليته سواء أثناء فترة الانتداب الفرنسي أو ما تلاها فيقول: "لقد عمل عمي مع عبد الرحمن الشهبندر منذ عام 1920 أي قبل ثماني سنوات من حصوله على شهادة الحقوق، ثم شارك فيما بعد في تأسيس عصبة العمل القومي مع آخرين، ممن لمعت أسماؤهم في تلك المرحلة. وفاز في عام (1947) يرشح نفسه للانتخابات النيابية بكل ثقة رغم فشله في الحصول على مقعد في البرلمان. وعلى هذا الأساس، لا تبدو الجرأة الصحفية لعمي فهمي المحايري غريبة عن طبيعته عندما أصدر جريدة (الحضارة) عام 1946 دون أن يقبل أي مساعدة من أحد، وقد لا نصاب بالدهشة عندما نعلم عدد المرات التي تعرض فيها للنفي والسجن أيام الاستعمار الفرنسي، أو عندما نسمع الحكم بالإعدام الصادر بحقه".

والواقع تبدو هذه المعلومات ضرورية لمعرفة شيء من تاريخ صاحب اليوميات، بما يوضح طبيعة رؤيته اللاحقة لحدث الوحدة بين مصر وسورية، ثم تفهمه ودفاعه عن مبررات الانفصال، الذي لا يبدو حقيقة وليد "مخططات استعمارية" كما يقال في الخطابات الرسمية الناصرية والبعثية عادة، بل هو وليد ظروف موضوعية، أفرزتها ممارسات بعض أولي الأمر في حكومة الوحدة على أرض الواقع، وعليه يمكننا أن نقرأ في تقديم محقق الكتاب ما يفيد أن صاحب اليوميات لم يكن ضد الوحدة كهدف قومي بحد ذاته إذ يقول:

"وإذا كان كاتب هذه اليوميات من مؤيدي حركة (28) أيلول 1961 الانفصالية عندما قامت، فهذا لا يعني أنه كان ضد الوحدة، أو ضد أي هدف قومي، وإنما كان يرى مثلما رأى كثيرون غيره، أن ثمة أخطاء كبيرة قد ارتكبت، وعمي فهمي المحايري لم يخف ملاحظاته حتى عن شكري قوتلي الذي تنازل لعبد الناصر عن الحكم عندما قال له: لم اندفعتم لإقامة الوحدة مع مصر؟ إنها وحدة محفوفة بالمخاطر. كان يجب أن تتم الوحدة مع لبنان أو العراق أو الأردن!"

وبالطبع لم يكن القوتلي يفكر بهذه الطريقة ولم تكن الظروف تسمح بغير الذي حصل، ومهما بدا تساؤل فهمي المحايري محايدا، فإنه كان يعبر في الأيام الأولى للوحدة عن رؤيته الخاصة التي يمكن من خلالها أن تقوم وحدة عربية، أو أي وحدة بين بلدين عربيين.

ثورة.. أم انتفاضة.. أم انفصال؟!

من الملاحظة مع الدخول في قراءة صفحات تلك اليوميات، وتحديدا في الفصل المعنون (الأيام الأولى لحكم الانفصال) أن فهمي المحايري يطلق على حركة الانفصال اسم "الثورة" أو "الانتفاضة" وهو ما يعبر عن رؤيته الخاصة، التي يمكن تلمس مبرراتها الموضوعية حقا من خلال الوقوف على تأملات فهمي المحايري للحدث، وعلى قراءته لتفاصيل وأخطاء الوحدة، ولذلك يبدأ كتابه على النحو التالي:

"انفصلت سورية عن مصر بعد أن دامت الوحدة بين القطرين حوالي ثلاث سنوات ونصف السنة، وكان ذلك الانفصال نتيجة لانتفاضة الجيش السوري، وعقب الخطوة الأولى تخلى الجيش عن السلطة بعد أن طلب السيد إلى مأمون الكزبري أن يختار زملاءه لتأليف حكومة مؤقتة إلى حين إعادة الوضع إلى نصابه الطبيعي، أي إلى حين إجراء انتخابات عامة وفق الدستور المرعي"

ويعلق فهمي المحايري على الحدث بعد أن يثبت بيانات وبلاغات الانفصاليين والجيش ويعلق عليها فيقول موضحا:

"إن الاتحاد أو الوحدة أملاها أو فرضها على الناس فريق من الجيش، مع قيادة حزب البعث وحلفائها من حزب أكرم الحوراني، أما بقية الناس فكانوا معزولين عن إعطاء الرأي بهذا الأمر الخطير. وهذا ولا شك لا تقع تبعته

إن الاتحاد أو الوحدة أملاها أو فرضها على الناس فريق من الجيش، مع قيادة حزب البعث وحلفائها من حزب أكرم الحوراني، أما بقية الناس فكانوا معزولين عن إعطاء الرأي بهذا الأمر الخطير

ساور التشكيك الناس من جراء بعض التصرفات التي كانت تقوم بها السلطة العسكرية، ومنها اختيار رئيس الحكومة المؤقتة وهو قريب أحد الضباط الذين تبنّوا الانتفاضة

المظاهر الكاذبة ما تزال تدغدغ أحلام الزعماء والرؤساء في هذه البلاد التعيسة

على الدافعين أو الحاملين على القبول وحدهم، بل يشترك بذلك القابلون ولو أنهم فعلوا تحت التهديد والإكراه المباشر أو بدافع المغانم والاشتراك بالغنيمة" ويضيف فهمي المحايري في موقع آخر:

"...فالنوايا الطيبة وتسليم الأمور، لا تكفي في القضايا العامة التي تتعلق بمصير الناس، إنما تكون مثل هذه الأمور مقصورة على معاملة الأفراد بعضهم مع بعض، فإذا أخطؤوا فتبعة أخطائهم تعود عليهم وحدهم دون الجمهور، وفي كل الأحوال فإن هذه القضايا ليست من اختصاصات رجال الجيش بل من اختصاصات نفر من المتمرسين في أفانين السياسة والإدارة".

وهكذا يبدو فهمي المحايري منطلقا لقراءة حدث الانفصال من مفاهيم أساسية في السياسة كفن وعلم وخبرة في آن معا، وهو يبتعد في قراءته تلك عن الأحكام الانفعالية المتسرعة أو الناجمة عن تجربة شخصية بحتة، لكنه يعتمد أسلوب (من فمك أدينك) ليضع النقاط على الحروف، ويشير إلى مكامن الخلل في تجربة الوحدة!

ويظهر هذا الصحفي والسياسي العريق توجسه من تدخل العسكر والجيش في إدارة العملية السياسية، فيتوقف عند دعوة قادة الحركة إلى السياسيين لاجتماع في نادي ضباط دمشق، بتاريخ العاشر من تشرين الأول / أكتوبر 1961 والذي أنتج ما سمي بالميثاق الوطني فيقول:

"منذ الصبيحة الأولى للانتفاضة، والناطقون باسم الجيش السوري يرددون في خطبهم وتصريحاتهم، عن موقفهم الحيادي من السلطة. وقد كان لهذه التصريحات مبررها في بداية الحركة، ولكن الترديد المستمر لفت الناس إلى الغرض من كل ذلك التكرار والتشديد على عدم التدخل في الشؤون المدنية، فضلا عن التشكيك الذي ساور الناس من جراء بعض التصرفات التي كانت تقوم بها السلطة العسكرية، ومنها اختيار رئيس الحكومة المؤقتة. فقد اختير لهذه الحكومة قريب لأحد الضباط الذين تبنوا الانتفاضة. وقد تجاوز الناس عن كل ذلك إبان بدء الحركة، ولكن مما يلفت ويدعو للتساؤل: دعوة فريق من الشعب إلى الاجتماع في نادي حامية دمشق، بحجة توحيد وجهة نظر الفئات وجماعات الأحزاب، مع العلم أن الأحزاب منحلة منذ زمن بعيد. وقد اعتبر الناس هذه الدعوة متعارضة، والدعوة العريضة لعدم التدخل. لأن دعوة ناس بعينهم من قبل الجيش، أقل ما يقال فيه، إنه إحساس في الرأي، وإشارة صريحة إلى أن هؤلاء المدعوين يؤيدهم الجيش، خاصة والانتخابات العامة على وشك الحدوث، وكان من منطق الأشياء، أن تكون الدعوة من غير الجيش، وفي غير نادي الضباط".

الفصل الثاني من الكتاب يخصصه للمرحلة الدستورية التي أعقبت الحركة الانقلابية على حكومة الوحدة، والتي تبدأ من جلسة المجلس النيابي التي تم فيها انتخاب ناظم القدسي رئيسا للجمهورية العربية السورية. وفيها يبدي فهمي المحايري ملاحظات جوهرية على آلية العمل السياسي في تلك المرحلة، وهي ملاحظات تلخص ما تكرس لاحقا من مظاهر بروتوكولية في ظاهرها، لكنها تخفي حقيقة التغيير فيقول:

"كان يذهب بعض المتفائلين، إلى أن المسؤولين اتعظوا بالماضي وتأوا عن اللون العتيق من كلمات المناسبات، كما ابتعدوا عن الأبهة الشرقية على ألوانها وضروبها. ولكن فيما يبدو لما يتغير شيء... فقد لجؤوا لنفس الأساليب البالية العتيقة في سوق الجمهور إلى مكان الرئيس الجديد للترحيب وتقديم التهاني، التهاني التي لما تنبع يوما من القلب، ولم يكن لها أي مبرر. ولكن ما الحيلة وهذه المظاهر الكاذبة ما تزال وما تنفك تدغدغ أحلام الزعماء والرؤساء في هذه البلاد التعيسة"

حرب دعائية ناصرية مضادة!

ويتوقف الكتاب في فصوله اللاحقة عند الحركات الانقلابية المتتالية في تلك الفترة، وعند أحداث تفصيلية تعكس واقع العمل السياسي الذي

فهمي المحايري (1892-1970)

الذي بات الجيش عاملا من عوامل التأثير فيه.. كما يقف عند الاحتجاج الرسمي الذي قدمته الحكومة السورية عام 1962 الرئيس جمال عبد الناصر إلى جامعة الدول العربية ، والذي اتهمت فيه حكام القاهرة بـ "التدخل في شؤون سورية الداخلية وشن الحملات الخطابية عليها، وتسخير الصحافة المؤممة وأجهزة الإذاعة والإعلام على تركيز حرب دعائية شعواء على الكيان السوري، فأخذوا يدفعون إلى الإرهاب والتخريب ومساندة العناصر المأجورة، لخلق جو من القلق والاضطراب، يحول دون انطلاق سورية في الطريق الذي اختطته لنفسها".

وبعد أن يورد الكاتب على سبيل توثيق النص الكامل والمطول لمذكرة الشكوى السورية، يتوقف عند نشر أخبار الحوادث والتفجيرات التي كانت تتهم بإثارتها مخابرات جمال عبد الناصر، كانفجار قنبلة موقوتة في مقهى الروضة في حماه، أصابت 25 شخصا بينهم أقطاب من حزب أكرم الحوراني، ويعلق على التعاطي الإعلامي للصحافة السورية مع هذه الأحداث بالقول:

"تولت السلطة الأمر، وأسدل الستار على الحادث بعد ضجة لم تتجاوز بعض الصحف اليومية، فكل صحيفة علقت على الحادث حسب ميولها واتجاهاتها. فمنها من مرت به مر الكرام أو اللئام، ومنها من ذكرته كحادث يهم بعض قرائها، وهي لا ترغب أن تكون مقصرة عن بقية الصحف في نشر الأخبار المحلية، والحادث سيطوى كغيره من الحوادث، وسينسى كما نسي غيره وغيره. سنة الله في خلقه، وسنة الناس في نسيان الحادثات مهما كبر شأنها أو صغر."

ثم يعود إلى قضية اعتقال السياسي الشيوعي المعروف فرج الله الحلو، وتعذيبه من قبل وزير داخلية دولة الوحدة (عبد الحميد السراج) وموته تحت التعذيب وإخفاء جثته. وقد أثيرت هذه القضية على الصعيد الدولي بين خروتشوف وعبد الناصر، مما دعا إلى التحقيق فيها.. لكن قاضي التحقيق قضى بتبرئة المدعى عليهم، ومنع محاكمتهم.. ويعلق فهمي المحايري على هذه الحادثة التي يستعيدها في سياق يومياته النقدية عن فترة الوحدة:

"هذه الجريمة التي وقعت بين سمع الدنيا وبصرها على الصعيد الرسمي، لما تفعل مردودا يتناسب مع بشاعتها الآن، وما يزال القتلة يمرحون ويروحون ويغدون بين أسماع الناس وأبصارهم لا يطالهم عقاب

لا يُبرّئ الكاتب مرحلة الوحدة من المسؤولية عن الفوضى السياسية في عهد الانفصال، لأنها أشاعت جو التناحر والوشايات وسممت الحياة السياسية.

أكبر أخطاء الوحدة - برأي المؤلف- القضاء على النظام البرلماني الحر الذي كانت تتمتع به سورية والتعددية الحزبية وحرية الصحافة

ولا يتعرضون لأذى. إن أحدا لن يقبل أو يصدق أن عبد الحميد السراج بالذات وزير الداخلية وأمين الرئيس عبد الناصر في سورية وموضع ثقته واعتماده، إن أحدا لن يصدق أن هذا الرجل لا يعرف شيئا عن حادث القبض والتعذيب ومن ثم القتل، لا يعقل أن يحدث ذلك إلا إذا ألغى الناس عقولهم، وباتوا لا يدركون أو يميزون بين الحنطة والتفاح"

ويعود فهمي المحايري بعد ذلك إلى يوميات الانفصال، ويطلق على المرحلة التالية التي تبدأ بتعديل الدستور السوري في أيلول 1962 والتي مُنحت من خلالها السلطة التنفيذية صلاحية التشريع وإجراء الانتخابات، وذلك من خلال منح مجلس النواب بأكثرية أعضائه المطلقة السلطة التنفيذية صلاحية إصدار مراسيم تشريعية لها صفة القانون. يطلق على هذه المرحلة اسم "الفصل الجديد من الرواية"

وينتقد فهمي المحايري، حكومة خالد العظم التي شكلت في (17 / 9 / 1962) ويتهمها بأنها أشاعت بين الناس أنها أطلقت الحريات ومنها حرية الصحافة، لكنها هي نفسها مكمومة اليدين حيث يقول:

"وهكذا ترفع الحكومة القائمة لواء الحريات، وتردد بكل مناسبة أنها تفك أسر هذه الحريات الواحدة تلو الأخرى، ولكن ما حيلة هذه الحكومة وهي موثوقة اليدين ومكمومة الفم"

ثم يتابع فهمي المحايري الأيام الأخيرة للانفصال، وصولا إلى انهيار حكومة خالد العظم بعد سلسلة من الاستقالات، وتسمية أسعد الكوراني نائبا ووكيلا لرئيس الوزراء، ثم مذكرة الهيئات الشعبية والسياسية التي وجهت إلى رئيس الجمهورية حينذاك، ورفضت تنازل خالد العظم عن رئاسة الوزارة لغيره، لأن مثل هذا التخلي يقتضي العودة إلى الشعب! وفي موازاة ذلك يتوقف المؤلف عند الانقلاب الذي قام في العراق ضد عبد الكريم قاسم في شباط 1963 والذي سمى الانقلابيون فيه عبد السلام عارف رئيسا للجمهورية، وينعي فهمي المحايري كتابه بالإشارة إلى الجفاء الذي تعاملت فيه حكومة العراق الجديدة، مع طلب وزراة الخارجية السورية بشأن الاتحاد بين سورية والعراق، والذي لم ترد عليه لا بقليل أو بكثير. ويعلق على ذلك بقوله: "وينطبق على هذا الموقف قول الشاعر:

من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح بميت إيلام"

تأثيرات الوحدة ومضاعفاتها!

إن مجمل ما تقدمه هذه اليوميات على بساطة وعفوية تعليقات كاتبها المخضرم سياسيا، هي صورة التخبط والفوضى السياسية التي بدت عليها سورية بعد خروجها من تجربة الوحدة بكل إنجازاتها وأخطائها.. وهذه الفوضى لا يُبرّئ الكاتب مرحلة الوحدة من المسؤولية عنها، لأنها أشاعت جو التناحر والوشايات وسممت الحياة السياسية، لكن أكبر أخطاء الوحدة – حسب ما يقوله الكتاب – هي القضاء على النظام البرلماني الحر الذي كانت تتمتع به سورية، والتعددية الحزبية التي أرست لتقاليد الحوار الديمقراطي وسجال الرأي الحر، والتنافس السلمي على السلطة وحرية الصحافة، وتشويه كل هذا وتحويله إلى حالة من التناحر والصراع الانقلابي، والملاحقات الأمنية التي كان عبد الحميد السراج رمزا لها في عهد الوحدة. وإذا كان الكتاب يصل إلى هذه النتيجة من خلال الوقائع، لا من خلال الكلمات وحسب .. فإن من الخطأ الاعتقاد أن هذه اليوميات تصل إلى حالة من العداء المطلق للوحدة ... فقد كانت الوحدة مع مصر تعبيراً عن حلم قومي في وحدة عربية أشمل، وهي لما تزل كذلك في أحلام الكثيرين من السوريين، شرط أن تمتلك مبررات استمرارها، ودوافع استقوائها على ما هدد وجودها وهدمها من الداخل قبل أن توجه الاتهامات للخارج!

محمد منصور

كتاب يُقرأ

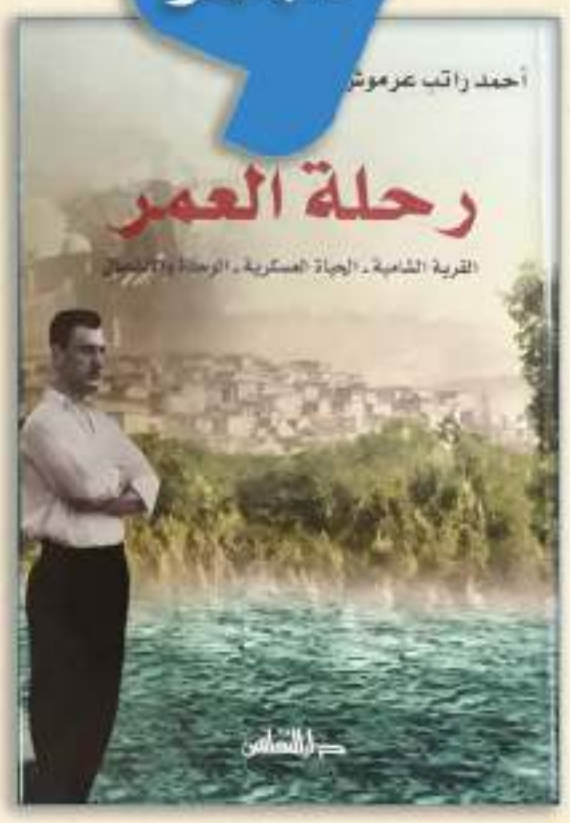

هجر السياسة وأسس دار نشر في بيروت بعدما سرّحه البعثيون:

مذكرات مثيرة لأحد ضباط الانفصال... لهذا كره السوريون الوحدة

يسجل كتاب (رحلة العمر) لأحمد راتب عرموش، كما هو واضح من عنوانه، مذكرات وسيرة حياة مؤلفه، وجزءا من التاريخ السياسي السوري الذي عاصره المؤلف كضابط سابق في الجيش، تم تسريحه بعد انقلاب الثامن من آذار، وتعرّض للسجن مرات عدة قبل أن يغادر سورية عام 1965، ثم يغادر العمل السياسي برمته عام 1970 حين انصرف هذا الضابط العريق إلى تأسيس دار نشر باسم (دار النفائس) عرفت بكتبها المتميزة فكان لها من اسمها نصيب!

ولعل العديد ممن كان يقرؤون كتب هذه الدار التي اهتمت بالتاريخ العربي الإسلامي، لكنها لم تغفل التاريخ السوري المعاصر في جانب معتبر من منشوراتها، لم يكونوا يعرفون أن مؤسسها سوري الهوى والهوية، وخصوصا أنها مرخصة كدار نشر لبنانية مقرها في بيروت، وصاحبها يحمل عضوية اتحاد الكتاب اللبنانيين.

وكتاب (رحلة العمر) لا ينصرف فقط لرواية سيرة الضابط أحمد راتب عرموش الذي انتسب إلى الكلية العسكرية سنة 1955 وتخرج برتبة ملازم عام 1957 والأحداث التي عاصرها حتى تسريحه بالقوة بعد انقلاب البعث، بل يقدم لنا جانبا هاما ومفتقدا من التاريخ الاجتماعي لريف دمشق الشام، كون الكاتب من مواليد (جديدة الوادي) في منطقة وادي بردى عام 1936 ولهذا يرفق عنوان كتابه الرئيس بثلاثة عناوين فرعية تلخص محاور هذه المذكرات وهي: (القرية الشامية – الحياة العسكرية – الوحدة والانفصال).

ثقافة الحياة النظيفة في ريف دمشق!

القرية التي ولد بها المؤلف والتي كانت تحمل اسما آخر هو (جديدة الشيباني) نسبة إلى رجل صالح من بني شيبان من تغلب دفن فيها، كانت جديدة كما يدل اسمها؛ إذ يعود تاريخ بنائها إلى مطلع القرن الثامن عشر الميلادي كما يذكر المؤلف، بعد أن انتقلت من موقعها القديم الذي كان يسمى (عين الماذنة) إثر جفاف عين الماء التي كانت تروي القرية والتي سميت باسمها. ولا يتوقف المؤلف عند السرد التاريخي والوصف الجغرافي فحسب، بل يقدم لنا تعريفا شاملا بأنماط البناء وطبيعة المزروعات وأساليب الري، ووسائل المواصلات والإنارة والألبسة والحياة الاجتماعية وتقاليد الخطبة والزواج ويدخل إلى البيت الريفي فيصف لنا الطعام وبيت المونة وحتى أدوات المطبخ، قبل أن ينتقل ليسرد سيرة عائلته التي كان والده أول من أحضر مذياعاً إلى القرية في خمسينيات القرن العشرين، وفي الفترة ذاتها اشترى سيارة ماركة (جيب ويللس) كان شكلها "كاريكاتوري كالصندوق الذي يجره محرك" كما يقول، مشيرا إلى أن والده في طريقه باتجاه دمشق التي تبعد القرية عنها أقل من عشرين كيلو مترا، كان "لا يشير إليه أحد من أهل القرية إلا توقف وحاول حشره معنا، حتى إذا ما أصبحنا كالسردين، وصعب إضافة راكب جديد، وكان الجو دافئا، أصعد بعض الشباب وقوفا على الرفرافين يمينا ويسارا".

ومن التفاصيل الهامة التي يتوقف عندها المؤلف في حياة هذه القرية الشامية، ثقافة الحفاظ على نظافة المياه وسلامة البيئة، والتي تعكس وعيا اجتماعيا متقدماً ميّز الكثير من البيئات السورية المشتركة بالمرجعيات الدينية ذاتها يقول:

" كان لمفهوم الطهارة والنجاسة في الإسلام أثر واضح في نظافة الماء والحفاظ على البيئة. فمعظم السواقي كانت نظيفة لدرجة يستطيع الإنسان أن يشرب من مائها وهو مطمئن إلى نظافتها، لأن الناس كانوا إذا احتاجوا إلى استعمال الماء للغسيل يديرون فرعاً صغيرا من الساقية نحو بستان يغسلون فيه ما يرغبون في غسله من ثيابهم وحاجياتهم، ولا يؤسخون ماء الساقية، ولا يلقون فيها أوساخاً، وإن رأوا قذارة أزالوها منها. ولا يدعون أولادهم يبولون فيها أو في النهر، ويعلمون أن ذلك حرام يعاقبهم الله عليه، فالعبث بالماء حرام وتوسيخه حرام، وعلى ذلك ينشأ الأطفال، ويكبرون حاملين هذه المفاهيم فأين أولادنا اليوم منها؟ ومازلت أذكر جارنا (أبو عبد الله) العجوز الطويل، ذا اللحية البيضاء، الذي كان مع إطلالة الربيع، يحمل مجرفته، ويسير بمحاذاة الساقية التي كانت مياهها تنساب أمام منزلنا ومنزله، مبتدئا من النبع..

بتاريخ 1959/10/10 فوّض عبد الناصر نائبه عبد الحكيم عامر إدارة شؤون الإقليم الشمالي، ما أزعج سياسيي سورية كلهم وعلى رأسهم زعماء حزب البعث... وحتى عبد الحميد السرّاج!

كانت سياسة القاهرة تقضي بانتداب أكبر عدد من الضباط المصريين الموثوقين أو المراد تنفيعهم إلى الإقليم الشمالي، برواتب وتعويضات عالية، وانتداب الضباط السوريين غير الموثوقين إلى القاهرة!

فلا يترك في الساقية ورق أشجار تالفاً أو عالقا بعائق، أو طائرا ميتاً، أو ما يعيق انسياب الماء إلا أزاله، حتى ينساب الماء نظيفا رائقاً من منبعه ولغاية منزله وما بعده بقليل".

ثراء التوثيق الاجتماعي والسياسي!

يطول هذا الحديث الشيق الممتع عن تفاصيل قرية من قرى ريف دمشق في النصف الأول من القرن العشرين، وهو حديث ممتلئ بأدق التفاصيل المتدفقة من نبع الذاكرة الصافية العميقة الزاخرة بالصورة والمعلومة والإحساس في لحظة تشابكها وامتزاجها... لكن يبقى الجانب السياسي وسيرة المؤلف في الجيش السوري وأحداث الوحدة والانفصال عن مصر، ثم انقلاب حزب البعث هو الجانب الأكثر أهمية في الكتاب برأيي، وإن لم يكن الأكثر ثراء بالضرورة، لأن الكاتب كان يهتم بإشباع كل جانب من جوانب كتابه بما في ذلك سيرة عائلته.. وهذه ميزة الكتابة التوثيقية الجيدة التي لا تعاني شح المعلومات في فصل على حساب آخر، أو تناثرها في سياق مبتور وغير مكتمل لا يساعد القارئ على معرفة تفاصيل الحدث وتصور الحالة.

ويحرص الأستاذ أحمد راتب عرموش على أن يغني سرده المعلوماتي للوقائع التي عاصرها بالوثائق والبيانات الرسمية، وآراء صناع الحدث، والواقع أن ما يورده عن فترتي الوحدة والانفصال ثري جدا... وخصوصا أن الوحدة مع مصر أعلنت بعد أشهر من تخرجه من الكلية العسكرية عام 1957 برتبة ملازم، أما الانفصال فقد شارك فيه مع كتلة الضباط الدمشقيين الذين كانوا صناع الانفصال وقادته، وبهذه الحجة تعرضوا فيما بعد لأقسى حملات التمييز والاضطهاد بحجة معاداتهم للوحدة وارتكابهم "جريمة" الانفصال، مع أن الانقلاب الذي أنهى الوحدة جاء تلبية لرغبة نخبة اقتصادية وسياسية واجتماعية كبيرة، بما فيها مؤسسي حزب البعث نفسه، فقد وقّع صلاح الدين البيطار ورياض المالكي وسواهما من البعثيين، على الميثاق الوطني الذي كرس الانفصال، كما أيده زعماء وطنيون كبار أمثال فارس الخوري وسلطان باشا الأطرش وفتح الله الصقّال وسعيد الغزي، لكن الإعلام الناصري كان يزعم أن سلطات الانفصال زوّرت برقيات التأييد تلك بأسماء هؤلاء.

لهذا كره السوريون الوحدة!

قبل أن يتفاقم الحال الذي أدى إلى انهيار الوحدة، يشرح المؤلف السياسة التي اتبعها المصريون إزاء الإقليم الشمالي، ويوضح أنه بتاريخ 1959/10/10 فوّض عبد الناصر نائبه عبد الحكيم عامر إدارة شؤون الإقليم الشمالي، وهذا ما أزعج سياسيي سورية كلهم وعلى رأسهم زعماء حزب البعث، وحتى عبد الحميد السراج. وأدى هذا في نهاية العام إلى استقالة وزراء البعث: أكرم الحوراني وصلاح الدين البيطار وخليل الكلاس ومصطفى حمدون، وعن سياسة القاهرة يقول ص (170):

"كانت سياسة القاهرة تقضي بانتداب أكبر عدد من الضباط المصريين الموثوقين أو المراد تنفيعهم إلى الإقليم الشمالي، برواتب وتعويضات عالية، بالإضافة إلى ما كانوا يمارسونه من تهريب بين القطرين. وانتداب الضباط السوريين غير الموثوقين إلى القاهرة بميزات مشابهة، المهم التخلص منهم في سورية. ولم يكن يسند إلى أي منهم أي عمل مهم، بل كان معظمهم يتسكّع في شوارع القاهرة، ويشعر بخضوعه لمراقبة دقيقة وبخاصة من النساء، حيث كان يستمتع بهن كثير من الضباط، وكن يعملن مخبرات لدى المخابرات المصرية. الأمر الذي جعل بعض الضباط البعثيين يشكلون ما عرف لاحقا باللجنة العسكرية".

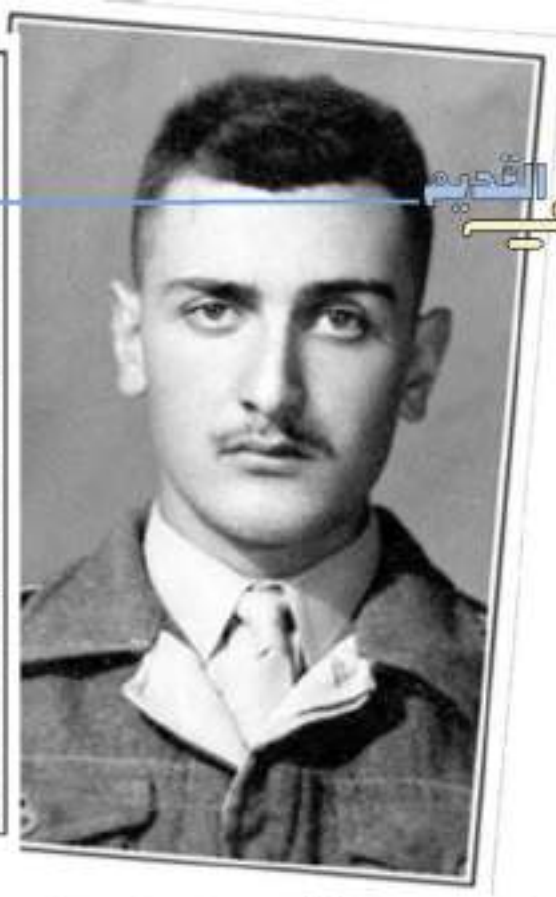

سؤلف الكتاب حين كان ضابطا في الجيش

ومن واقع مشاهداته، يسهب المؤلف في سرد مظاهر تمييز الضباط المصريين في جيش الإقليم الشمالي أيام الوحدة، ويشير إلى معرفة القيادة المصرية بواقع الحال وتجاهله والاستهانة بخطورته، فيقول ص (214):

" والواقع أن سورية كانت تغلي، والقيادة السياسية في مصر تعلم الكثير عن نقمة الجيش والشعب لكنها تتخبط في إجراءاتها، وكل قرار جديد يظهر سلبياته أكثر من سابقه. ففي 1961/8/15 حلت المجالس التنفيذية في سورية ومصر، وشكلت حكومة مركزية، وعيّن عبد الحميد السراج رئيسا للمجلس التنفيذي في القطر السوري، ونائباً للرئيس، ووزيرا للداخلية في الجمهورية العربية المتحدة. وبدأت الخلافات بين المشير والسراج تظهر إلى العلن".

كما يشير المؤلف إلى أن كثيراً من قادة الوحدات العسكرية يسيئون التصرف مع العساكر والرقباء، فقد كانوا يطلبون من حجابهم مثلا مسح أحذيتهم، أو خدمات في منازلهم وهذه أمور لم يكن يألفها العساكر السوريون في ذلك الوقت، حتى إن بعضهم كان يتمرد.. ويروي في هذا السياق حادثة جرت معه فيقول:

"كنت في كتيبة استلم قيادتها مصري مدة من الزمن.. ولاحظت أن رقيبا في إحدى السرايا يعاقبه قائد الكتيبة بالسجن كل بضعة أيام، ولم يكن ذلك الرقيب تابعاً لي. وصدف أن خرجت من غرفتي التي أنام فيها في المعسكر، فوجدت ذلك الرقيب بعيدا عني زهاء مئة متر، وكان الجو بارداً، ما جعله يرفع قبة معطفه. فناديته بصوت عال "ولك أحمد تعال لهون" فإذا به يضبط قبته ويأتي راكضا، ويحييني تحية نظامية ويقف أمامي في وضعية الاستعداد. فسألته: لِمَ عاقبك قائد الكتيبة بستة أيام سجن؟ فأجاب: "كنت رافعا قبتي ومررت بجانبه فلم أحييه، فناداني وأنزل بي عقوبة" استغربت الأمر فسألته: "طيب أنا لست رئيسك، وهو رئيسك، وناديتك من بعيد فأسرعت وقلبت قبة معطفك وحييتني بكل انضباط؟ فقال: أنت تحبني وتحترمني أما هو فيحتقرني. قلت: وما يدريك؟ قال: الدليل أنك ناديتني لتسألني عن سبب عقوبتي فأنت مهتم بي".

الجيش السوري: قبل انقلاب البعث وبعده!

إن أهم ما يقدمه هذا الكتاب للسوريين إلى جانب توثيقه لملابسات الوحدة والانفصال، الصورة التي رسمها المؤلف للجيش السوري قبل انقلاب البعث، والتي نسجها من واقع تفاصيل عاشها، وسير شخصيات عاصرها داخل المؤسسة العسكرية وتحدث عنها.. ثم صورة الجيش نفسه بعد انقلاب البعث حيث سيطر الطائفيون المملوؤون بمشاعر الدونية والانتقام، وبفكرة الاستيلاء العنفي على الدولة بكل مفاصلها. ولأن الكاتب لم يقدم هذه الصورة ولا تلك المقارنة في فصل معين، فإنني سأحاول أن أنقلها إلى القارئ من خلال الاقتباسات التالية:

يذكر المؤلف عن النقيب عدنان حمدون الذي كان رئيسه في الكتيبة السادسة ص (164) ما يلي:

"لم يكن رخوا مع الجنود، واتفق معي على ضبط العساكر وتعليمهم الانضباط بفرض عقوبات قاسية عليهم، ولكن من دون تسجيلها في سيرهم الذاتية، أو إعلام القيادة بها، حتى لا يحسم من رواتبهم مدة العقوبة، وكان يقول: ما ذنب العائلة أن يقل دخلها إن أخطأ معيلها؟!".

يكشف المؤلف ص (164) عن القواعد الصارمة التي كانت سائدة في الجيش السوري فيما يتعلق بزواج الضباط فيقول واصفا ما حدث معه بعد خطبته على أمية سنوبر التي أصبحت زوجته فيما بعد:

"تمت مراسم الخطبة كالمعتاد، واستغرقت الموافقة من قيادة الجيش ستة أشهر، لأنها تحتاج إلى توقيع قائد الجيش، وقد كان زواج الضابط مشروطا بموافقة القيادة وكان يجري التحري عن خطيبة أي ضابط قبل منحه الموافقة، فهي ستطلع على أسرار يجب أن تكون أهلا لكتمانها. وأعرف ضباطا تزوجوا من أجنبيات أثناء التحاقهم بدورات في الخارج، فلم يستطيعوا حتى إدخالهن إلى سورية، وأذكر واحدا ترك زوجته في لبنان وكان يزورها في الإجازات".

يتحدث المؤلف ص 374 عن تقاليد الإبعاد عن الجيش فيقول:

"كان ضباط الجيش السوري على الرغم من تفرق بعضهم في تكتلات، إقليمية أو سياسية أحيانا، كأفراد أسرة واحدة يتنافسون فيما بينهم ولكن يحترم بعضهم بعضاً، ولا يخرج اختلافهم عن التنافس على السلطة وإن اقتضى الأمر إبعاد أحدهم من الجيش، ونادرا ما كان يحصل ذلك، يبقى زميلا محترما ويؤمّن له عيشه في وظيفة لا قوة فيها يمكنه استغلالها".

أما الوجه الآخر، فيكفي أن نقرأ ما كتبه المؤلف نقلا عن كتاب (البعث) لسامي الجندي عن النية المبيتة لدى البعثيين، لتصفية الجيش الوطني وتدميره واستبداله بجيش عقائدي لا يحتاج السوريون اليوم لشرح مواصفاته كثيرا كي يعرفوا مساوئه وأين انتهت مساراته، يقول:

"لم تكن المفاوضات سهلة بين الوحدويين والبعثيين (قبل انقلاب 8 آذار 1963)، أصر الأولون على أن تعلن الوحدة مع إعلان الانقلاب، فلا بد قبل إعلان الوحدة من تصفية الجيش وإبهام الكثير من العناصر أن الحركة ضد العقيد النحلاوي فقط..".

ويعلق المؤلف: "هكذا بالحيلة والخداع تمت تصفية الجيش السوري". بيد أن وصف المؤلف لقرار تسريحه بعد انقلاب الثامن من آذار بـ"الطرد"، يكشف الأجواء الانتقامية التي باتت تعصف بروح هذه المؤسسة العسكرية في لحظات تدميرها وتصفيتها فيقول:

"كانت إحالتي إلى التقاعد في الحقيقة طرداً من الجيش الذي أحببته وانتسبت إليه بدوافع وطنية، ولم أقصر في خدمته. وشعرت بظلم كبير إذ رفع أبناء دورتي إلى رتبة نقيب بمفعول رجعي لأكثر من سنة، وكان من المفروض أن يشملني الترفيع لأنني من أوائل دورتي، وشمل الترفيع الدورة التي تلت دورتي. وللرتبة أهمية لا يعرفها إلا العسكريون، ومن حقي أن يحسب راتبي على أساس رائد، فالقانون يعطي المحال على التقاعد بقوة القانون ومن دون سبب، معاش الرتبة الأعلى من رتبته، وهكذا فقد ظلمت ماديا ومعنويا. ولما ناقشت المقدم "البعثي" أحمد سويداني لاحقا في السجن، في الموضوع، وكان قد تسلم الشعبة الثانية، لم يجد ما يرد به إلا قوله: "أنت هنا في السجن تناقش بهدوء وقانونية، أما عندما تكون على ظهر دبابتك فستختلف طريقتك. فإن استطعتم العودة إلى الحكم، عاملونا بالطريقة ذاتها"، وكرر الموقف ذاته عبد الكريم الجندي.

بين الرؤية الذاتية والموضوعية!

إن مذكرات الضابط السوري السابق أحمد راتب عرموش (رحلة العمر) كتاب جدير بالقراءة والاقتناء، ويمكن للمرء أن يلمس خلال رحلة قراءة وتحليل فصوله التي تمتد عبر أكثر من (500) صفحة من القطع الكبير، مدى حرص الكاتب على مقاطعة مذكراته مع ما ورد في مذكرات شهود عيان آخرين، ومدى حرصه أيضا على أن يوازن بين الرؤية الذاتية التي تقوم عليها المذكرات عموما، وبين الرؤية الموضوعية التي يسعى الكاتب من خلالها لإكمال قراءته للمرحلة التاريخية التي عاشها، وعبّر عنها بلغة سليمة وواضحة، قوتها في بساطتها وخلوها من الإنشاء في الأسلوب، والاستطراد النافل في القول، وأمراض تمجيد الذات في المحتوى. ناهيك عن البنية الدرامية والقصصية في سيرة هذا الضابط الذي أدرك سريعا أنه لم يفت الأوان لكي يبدأ من جديد، ففي اليوم التالي لتسريحه الظالم من الجيش، داوم في معمل البلاط الذي كان يملكه والده، ثم تابع دراسته في كلية الشريعة بجامعة دمشق. وبعد حصوله على الإجازة الجامعية، تابع دراساته العليا فحصل على ماجستير دراسات إسلامية. وبعد أن ودع الجيش، ودع سورية ثم ودع السياسة مثل كثير من النخب السورية، بعد أن أصبح العمل السياسي في عهدة الوحوش وجلادي أجهزة المخابرات. ولا أجد ما أختم به هذا العرض لمذكرات هذا الصوت الوطني الذي يدون بدقة ويبوح بصدق، سوى هذه السطور التي يصف فيها شوارع دمشق التي كان يراها من نوافذ الباص الذي كان ينقله مع الضباط إلى الكتيبة قبل أن يسرّح بسنوات:

"كان علينا أن نتجول في الباص بعيد الفجر، وأذكر شوارع دمشق فارغة إلا من عمال التنظيفات، وهو يغسلون شوارع المدينة بالماء والصابون، فقد كان يجمعون القمامة ليلا، ويكنسون الشوارع والحارات، ويغسلون الرئيسة منها، فكانت دمشق من أنظف مدن العالم، وكانت المياه في ذلك الوقت تفيض عن الحاجة".

محمد منصور

النحلاوي على خطى الشيشكلي

يسرد أحمد راتب عرموش الوقائع الدقيقة لكيفية تشكيل العقيد عبد الكريم النحلاوي تنظيمه الذي أطاح بالوحدة، ويسهب المؤلف في سردها باعتباره كان قريبا منه، مثلما يُسهب في تحليل شخصية النحلاوي بموضوعية ونزاهة. ولعل أهم ما يقول عنه:

"النحلاوي كان متأرجحا بين رغبته في السلطة مع الشعور بأنه غير مؤهل لها، وبين ترك السياسة إلى أهلها. فاختار تجربة الشيشكلي والحكم من وراء ستار، لينقض على السلطة عندما تسمح له الظروف. ولكي لا يبقى بعيداً عما يحدث في الجيش والدولة، أنشأ مجلس الأمن القومي، وجعله مرجعاً في مختلف شؤون الدولة، يرأسه رئيس الجمهورية ويتألف من وزراء وضباط. وكان في واقع الحال هو رئيس ذلك المجلس. فالضباط ينتظرون توجيهه ليؤيدوه، والمدنيون يراوغون، وعند الضرورة يوافقون على ما يقترحه النحلاوي ثم يلتفون عليه، وهذا ما جعل حقدهم عليه يزداد كلما تقدمت الأيام"

سورية كانت تغلي والقيادة السياسية في مصر تعلم الكثير عن نقمة الجيش والشعب لكنها تتخبط في إجراءاتها

كثير من قادة الوحدات المصريين كانوا يسيئون التصرف مع العساكر، ويطلبون من حجّابهم مثلا مسح أحذيتهم أو الخدمة في منازلهم

إن أعز ما في الدنيا على الإنسان أن يصنع بيده تصوراته وأحلامه، وقد كانت الوحدة ذروة الحلم الجميل والأماني العذاب. إنني مع الشعب وإلى جانبه، لأنني أعرف أنه لا يمكن أن يجتمع على باطل ويجمع على ضلال، وإن خيبة أملي كبيرة لماذا استحالت الوحدة إلى سراب، ولماذا وثب كل من كان سباقاً في الوصول إلى الوحدة، فصار ضد هذه الوحدة!

الرئيس شكري القوتلي 1891- 1967

فاصلة

انفصالي ورجعي وأسود

محمد منصور

ضحكت الصديقة الرائعة (س) عندما سألتها: ألن تساهمي معي في العدد الخاص الذي ستَصدره (العربي القديم) عن حكم الانفصال الرجعي الأسود ؟! فلا شيء يُضحك السوريين اليوم مثل شعارات البعث التي نشأت وكبرت معها أجيال منهم، وكانت – هي والشعارات الناصرية – كما وصفها محمد الماغوط ذات يوم، مثل: "نيدو التي تنمو معه كل الأجيال" وبأنها: "لو عملت بها زيمبابوي سنة واحدة لصارت مثل السويد، ولو عملت بها السويد شهراً واحداً لصارت مثل زيمبابوي!".

أجمل ما في عهد الانفصال أنه كان خالياً من الشعارات، ومن الأيديولوجيات المسعورة، فقد كانت مرحلة تقودها الروح الوطنية السورية الباحثة عن نهوض جديد، بعد ثلاث سنوات ونصف، من وحدة لم تُحقق الآمال التي كان يطمح إليها كثيرٌ من السوريين الذين شكّلت الوحدة حلمهم التاريخي، وإن بقيتْ بالنسبة لمن عاشوها، جزءاً من ذكرياتهم الحلوة والمرّة، وقد تصالحوا معها، ومع أخوتهم المصريين الذين لم يَفسد الانفصال بينهم للودّ قضية.

لم تُشتّم مرحلةٌ في تاريخ سورية الحديث، كما شُتمت مرحلة الانفصال، ولم تُظلم منجزات مرحلة، وتسودّ صورتها، وتُسرق إنجازاتها، كما حدث مع فترة الانفصال. فقد عاش هذا الحكم حالة عداء مع مَن سبقه، فسامه الإعلام الناصري سوءَ العذاب، وحالة طمس واقتلاع مع مَن أتى بعده، فعاث البعثيّون، ثُمّ الطائفيّون الذين تلطوا خلف شعارات البعث وهبل مَنظريه، تنكيلاً وتشويهاً في كل تاريخه. وهذا العدد الخاص لا يهدف إلى إظهار مساوئ وأخطاء الوحدة، وإنما بشاعة وقذارة مرحلة البعث التي أنهت حكم الانفصال عن الجمهورية المتحدة بانفصال أعمق وأدهى عن الشعب وحقّه بالحياة الحرّة الكريمة، وأدخلت سورية في نفق مظلم، انتهى بها إلى بحيرة من الدم، ومدن من الركام، وملايين من اللاجئين والمهجرين.

كان حكم الانفصال حكماً مدنياً متحضراً، وإن شابته كثيرٌ من الأخطاء والعثرات السياسية، والنوازع العسكرتارية. لم نحاول في عددنا الخاص هذا أن ندافع عنه، أو نُبرز محاسنه ومزاياه وفق أهوائنا وميولنا، بل سعينا لتقديم صورة ذلك العهد بأقلام من عاشوا فيه، فكان ملفنا الأبرز عن الثقافة في عهد الانفصال بأقلام كتاب بارزين رصدوا النشاط الثقافي والفني في حينه، وكانت قضيتنا عن صورة عبد الناصر في صحافة عهد الانفصال بأقلام كبار صحفيي تلك الفترة، وقد وضعناها برسم نقاش حرّ ساهم فيه كتّاب اليوم، وفق توجهاتهم وآرائهم، لا توجهاتنا نحن. لكنني شخصياً لن أخفي دهشتي، عندما أقرأ أن العروض المسرحية الترفيهية كانت تُقدّم للمساجين في دمشق، التي يكفي أن تستحضر فظاعات سجون عهودها اللاحقة وجرائمها، كي تعرف ما هو جوهر حكم الانفصال الرجعي الأسود الذي كان!

طفل سوري يتدرب على البيانو في المعهد العربي للموسيقى بدمشق الذي أنشأته وزارة الثقافة والإرشاد القومي وجعلت الدراسة فيه مجانية وقد افتتح أبوابه للطلاب بتاريخ 1962/1/21 (راجع التحقيق ص 24)

قدم لهم هدايا تذكارية وكتباً:

د. ناظم القدسي رئيس الجمهورية يكرم الطلبة المتفوقين في سورية

مجلة [الندى] الثلوك، 1 كانون الثاني/ يناير 1963

كانت لفتة كريمة من السيد رئيس الجمهورية الدكتور ناظم القدسي، أن يكرم الطلبة المتفوقين في سورية العربية، وأن يقيم على شرفهم سلسلة من الحفلات، أبرزها مأدبة شرّفها بحضوره، وحفلة قدمها المسرح القومي بدعوة من السيد الرئيس على (مسرح القباني)، ومثل فيها مسرحية (البرجوازي النبيل) إخراج نهاد قلعي.

وقدمت للطلبة المتفوقين هدايا تذكارية من بينها مجموعة تضم صورا بالألوان، لأشهر اللوحات الزيتية التي أنتجها الفنانون السوريون، وكتاب (عباقرة العلم) وكتاب (روضة الورد) وقد قدمتها وزارة الثقافة والإرشاد القومي، بالإضافة إلى هدايا أخرى قيمة.

شكر قيادة الجيش العربي السوري

ادارة جمعية البر والخدمات الاجتماعية في حمص ارسلت كتاب شكر وامتنان الى القيادة العامة للجيش العربي السوري لتبرع الجيش للجمعية بمبلغ ٢٠ الف ليرة سورية من اجل اكمله بناء دار العجزة وتامين اجهزة التدفئة المركزية للعجزة والمعوقين .. وكررت الشكر العميق للقيادة العامة التي دأبت على تقديم المعونات المادية والعينية للمشاريع الانسانية والخيرية الاجتماعية .. وقال رئيس الجمعية انه يدعو الى الله ان يكلأ جيشنا العربي السوري ويحفظه برعايته وعنايته .

توقيع اتفاقيّة سدّ الفرات بشروط ممتازة

اعضاء الوفد السوري في المفاوضات الاخيرة .. ويظهر في الصورة الدكتور عزة الطرابلسي وزير الاقتصاد السوري والسفير خليل الكلاس وزير المال والسيد حسني الصواف ، وبينهم السيد والتر شيل وزير التعاون الالماني . ويلاحظ على وجوه الجميع ابتسامات النجاح بعد جلسة طويلة انتهت بالاتفاق على كل شيء .

مجلة [الندى] الجمعة 8 شباط/ فبراير 1963

أذيع رسمياً أنه تمّ في بون يوم أمس الأوّل الثلاثاء (1963/2/5) التوقيع على اتفاقيّة تمويل المرحلة الأولى من سدّ الفرات بين الجمهوريّة العربيّة السوريّة وبين جمهوريّة ألمانيا الاتّحاديّة، وقد وافقت الحكومة الألمانيّة بموجب هذه الاتّفاقيّة على تسليف سورية قرضاً قيمته 250 مليون مارك يسدّد بالعملة الأجنبيّة خلال عشرين سنة. وقد وقّع الاتّفاقيّة عن سورية كلّ من الدكتور عزّة الطرابلسي وزير الاقتصاد والسيّد خليل الكلّاس وزير الماليّة ووقّعها عن الجانب الألماني ستريدر وزير الخارجيّة .

وستسدّد سورية القرض بفائدة سنويّة 3,25% ونصّت الاتّفاقيّة على البدء فوراً بمفاوضات لوضع اتّفاقيّات للتعاون الاقتصادي بين البلدين.

ويرى في الصورة الأولى الدكتور لودفيج اللاير هارد وزير الاقتصاد الألماني - الثاني من اليمين - وعن يمينه الدكتور والتر شل وزير التعاون الاقتصادي الألماني واثنان من أعضاء الوفد الألماني.وفي الصورة الثانية الأستاذ خليل الكلّاس وزير الماليّة السوري وإلى جانبه الدكتور شل والدكتور عزة الطرابلسي والسيّد حسني الصوّاف وأحد أعضاء الوفد الألماني

تدشين سد محردة

صحيفة [الدنيا] الأحد 4 آب/ أغسطس 1962

رئيس الجمهورية يرعى مشروع سد محردة

بلغت تكاليف السد ٢٠ مليون ليرة سورية

يحتفل في الساعة السادسة من مساء يوم الثلاثاء القادم تحت رعاية السيد رئيس الجمهورية الدكتور ناظم القدسي بتدشين سد محردة وهو السد الثاني في مشروع الغاب بعد سد الرستن ومن شأنه ان ينظم اعمال الري في منطقتي الغاب والعشارنة وبولد الكهرباء كما ينظم مجرى العاصي ويدرأ الفيضان عن الاراضي المجففة بعده .

وقد اضيف اليه نفق يمتد عبر الجبل الى قرية شيزر بطول ٦٢٠ مترا وتطر ٢٠ر٣م لري سد العشارنة ولتوليد طاقة كهربائية تبلغ في الحد الاعلى ٢٥٠٠ بيلوات ويخزن السد ٦١ مليون متر مكعب من الماء .

هذا وبلغت تكاليف السد حوالي ٢٠ مليون ليرة سورية وقد انجز قبل الموعد المحدد بثلاثة اشهر بسبب حرص موسسة المشاريع الكبرى على انجاز مشاريع الري باقرب ما يمكن .